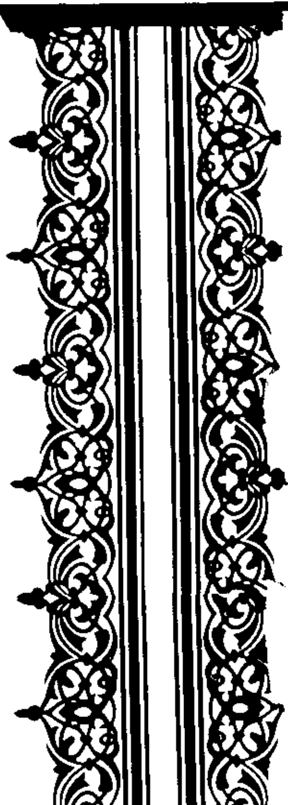


السنة الثانية ١٤٠٢هـ ربيع الأول العدد (١٢)

دعوة الحق
سلسلة شهرية
تصدر مع مطلع كل شهر عربي







السنة في مواجهة الأباطيل

تأليف

الأستاذ محمد طاهر حكيم



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأنزل عليه كتابه تبياناً لكل شيء وهدى إلى صراط مستقيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنزل عليه الكتاب ، فبين أحكامه ، ورفع ابهامه ، وخصص اطلاقه وشرح أهدافه ، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وعلينا معهم أجمعين ، أمين .

وبعد :

فلا يخفى على من له أدنى إلمام بشرائع الإسلام أن السنة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية ، بل هي قطب رحاها ، ومصدر شعاها ، وشمس الحقيقة ومنبع الهداية ، وهي السراج الوهاج في ليل داج ، فقد كانت البشرية في الجاهلية تتخبط خبط عشواء ، وكانت منغمسة في شهواتها ، ومنتهية في جهالاتها ، ومرتطمة في نزواتها ، في خبط وحيرة ، وظلمات مدلهمة لا تهتدي سبيلا ، ولا تجد طريقاً . حتى منّ الله عليها ببعث نبيه الكريم — صلى الله عليه وسلم — وأنزل كتابه العظيم .

ولما كان القرآن الكريم محتوياً للأصول ، غير مستقص لجميع التفاصيل ، فيه من الإجمال شيء غير قليل ، فوض الله بيانه إلى الرسول الكريم — صلى الله عليه وسلم — بقوله :

« وَأَنْزَلْنا إليْكَ الذِّكْرَ لتُبيِّنَ للنّاسِ ما نزّل إليْهم ولَعَلّهُمْ يتَفَكّرُون » (١) .

---

١ ـ النحل ٤٤

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين عن الله والكتاب الناطق ، والرحمة المهداة والنعمة المسداة .

ومن هنا يظهر جلياً ، أنه لا يمكن فهم كتاب الله تعالى على وجهه ، والعمل به على مراد الله تعالى ، إلا ببيان رسوله النيّر وأسوته الحسنة ، وبيانه النيّر وأسوته الحسنة هما السنة . فمن رام الهداية من غير هما ، أو من كتاب الله وحده ، فقد رام المحال .

ولما كانت للسنة هذه المنزلة ، وكان كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا مطمع في تغييره بالتصحيف والتحريف ، أو الزيادة والنقص ، قام أعداء الإسلام بالتشكيك في السنة وحجيتها وزعزعة الثقة بها ، وأثاروا الشبهات المختلفة حولها ، حتّى – لا قدر الله – إذا تم لهم ذلك ، انهار صرح الإسلام من أساسه ، وبعد تقويض بنيانه ، ما أسهل نقل المسلمين إلى أي نحلة من النحل الباطلة .

وإذا كان منكروا السنة قديماً قد انقرضوا وصاروا في ذمة التاريخ ، فإن المستشرقين وتلامذتهم من المستسلمين قد حلوا محلهم وقاموا بالهجوم على الإسلام ، انهم كشفوا عن سرائرهم ، فليس يرضيهم شيء إلا أن يفضوا أهله من حوله ، وأن يملأوا الدنيا أراجيف بأن الإسلام دعوة باطلة ، ورسالة زائفة ، وأنه لا يجوز لها البقاء أكثر مما بقيت . . ألا ساء ما يصفون .

وقد تتابعت جهود المستشرقين وتلامذتهم لإشاعة هذا الافك ، وكثرت مؤلفاتهم التي تغمز الإسلام ، وتنال من نبيه ورسالته ، وتشريعاته ، وبعض هذه المؤلفات قد تبدو عليها – في الظاهر – مسحة البحث العلمي المزعوم ، وقد يكون صاحبه قد طالع – بالفعل – عدداً ضخماً من المؤلفات الإسلامية القديمة والحديثة ، ومن ثم يعرض أفكاره السامة في البسة من الاستنتاج الهادئ ، وبين يدي نقول محرفة عن مواضعها .

ومن المؤسف حقاً أن المستشرقين ليسوا وحدهم الخائضين في تاريخ الإسلام وتشريعه ورسالته ، كذبا وزورا ، عن سوء قصد أو سوء فهم ، بل يشترك معهم فريق كبير من المستغربيين — من العرب والمسلمين — في هذا الحوض الظالم الأليم .

والأغلب من هؤلاء الذين ينخدعون من المسلمين بالمستشرقين يكونون قد تأثروا بأفكار المستشرقين ، اما بدراستهم في جامعات الغرب ، أو جهلهم بحقائق التراث الإسلامي ، وانخداعهم بالأسلوب العلمي المزعوم الذي يدعيه أولئك الخصوم .

ونظراً لما أثير حول السنة من اعتراضات وشبهات في ثبوتها وحجيتها ورواتها ، ولما فشا الجهل وضعف الوازع الديني في النفوس غالباً ، كان لا بد من دحض مفترياتهم وكشف شبهاتهم حتى لا يتأثر بها ضعفاء المؤمنين من العامة الذين ليس لهم كبير إلمام بالعلم ولا سيما بالسنة وعلومها .

وهذا ما حفزني على الإدلاء بدلوي بين الدلاء والكتابة فيه ، إسهاماً متواضعاً في الذود عن رياض السنة وعلومها ، وقد جعلت الموضوع في ستة أبواب كالآتي :

- الباب الأول : (السنة وما إليها) .

وفيه أربعة فصول :

١ — تعريف السنة .

٢ — مكانة السنة التشريعية .

٣ — حجية السنة .

٤ — جهود العلماء لحفظ السنة .

- الباب الثاني : (نظرة سريعة عن منكري السنة قديماً) .

وفيه ثلاثة فصول :

١ — السنة والخوارج .

٢ — السنة والشيعة .

٣ — السنة والمعتزلة .

• الباب الثالث : (السنة ومنكروها حديثاً) عرض – وتحليل .

وفيه ستة فصول :

١ — السنة والمستشرقون .

٢ — السنة والدكتور توفيق صدقي .

٣ — السنة والأستاذ أحمد أمين .

٤ — السنة ومحمود أبي رية .

٥ — السنة والدكتور أحمد زكي أبو شادي .

٦ — السنة ومنكروها في القارة الهندية .

• الباب الرابع : (شبهات منكري السنة) .

وفيه فصلان :

١ — شبهات منكري السنة عموماً .

٢ — شبهات أهل القرآن في القارة الهندية .

• الباب الخامس : اعتراضات من منكري السنة .

• الباب السادس : أمثلة من الأحاديث الصحيحة تعرضت لنقد منكري السنة.

هذا وقد راعيت الجانب العلمي في البحث ، فخرجت الأحاديث ، وشرحت معاني الجمل – إذ رأيت المقام يقتضي ذلك – وناقشت الشبهات بأسلوب علمي هاديءٍ رصين ، ومقارعة الحجة بالحجة ، من غير إسفاف بحيث فيه مقتنع لكل ذي لب وإنصاف .

والله المسؤول أن يوفقني لخدمة السنة المطهرة والعمل بها ، وهو المرجو أن يتقبل عملي ويجزل أجري ويعفو عن سيئاتي ، ويستر عوراتي وعيوبي ، فإنه هو الغفور الرحيم .

وأختم كلمتي بدعوة الإمام ابن الجوزي - رحمه الله - إذ يقول :

اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك ، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك ، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك ، ولا يداً تكتب حديث رسولك ، فبعزتك لا تدخلني النار ، فقد علم أهلها أني كنت أذب عن دينك ، اللهم آمين .

وصل الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا . .

طيبة الطيبة — خادم الكتاب والسنة

في ١٤٠١/٩/٢٩هـ — محمد طاهر حكيم

وفقه الله

الباب الاول

(السنة وما اليها)

وفيـــه أربعة فصول

١ ــ تعريف السنة .

٢ ــ مكانة السنة التشريعية .

٣ ــ حجيـــة السنة .

٤ ــ جهود العلماء لحفظ السنة .

يشتمل هذا الباب على بيان حقيقة السنة ومعناها ومنزلتها في التشريع الإسلامي وحجيتها في كافة الشئون الدينية والاجتماعية والأخلاقية . . ونبذة من جهود العلماء التي بذلوها لحفظ السنة في كلمات مختصرة . وكان لا بد منه إذ كيف يمكن الدفاع عن شيء قبل بيان حقيقته ومكانته والجهود التي بذلت في سبيل الحفاظ عليه .

الفصل الاول

(تعريف السنة)

السنة لغة : الطريقة ، كذا في القاموس(١) واللسان(٢) .

ومنه قوله تعالى : « **سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً** »(٣).

وقوله : « **سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا** »(٤)

قال ابن كثير : « **سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا** » : أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا (٥) .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (**لتتبعن سنن من كان قبلكم**)(٦) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : (**أترغبون عن سنة رسول الله**)(٧) . أي عن طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

١ ـ القاموس المحيط مادة (سنن)
٢ ـ لسان العرب مادة (سنن)
٣ ـ الفتح : ٢٣
٤ ـ الاسراء : الآية ٧٧
٥ ـ تفسير ابن كثير (٣٣٢/٤)
٦ ـ رواه ابن ماجة (١٣٢٢/٢) قال فى الزوائد اسناده صحيح ورجاله ثقاة والامام أحمد فى المسند (٤٠٠/١ ، ٤٠٩)
٧ ـ أخرجه البخارى فى كتاب النكاح ـ أنظر فتح البارى (١٠٤/٩) ومسلم (١٠٢٠/٢) والدارمى (٣٤٣/١) بلفظ (أرغبت) والامام احمد (١٥٨/٢ ، ١٦٥ ، ١٨٨ ، ٢١٠) و (٣٤١/٣ ، ٢٥٩ ، ٢٨٥) و ٧/٦ ، ٢٦٨ ، ٣٣٢ ، ٣٩٨)

وقوله : (**أربع من سنن المرسلين**)(١) أي من طريقتهم .

ويستخلص من النصوص السابقة أن الكلمة استعملت بمعنى الطريقة والمادة .

والسنة في اصطلاح المحدثين (ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء كان قبل البعثة أو بعدها)(٢) .

وأما الأصوليون فالسنة عندهم : (ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير(٣) من غير القرآن الكريم .

وثمة إطلاق آخر في الفقه وهو ما يقابل الفرض فيقال : هذه سنة وليس بواجب وليس بفرض .

السنة عند المستشرقين :

قال شاخت (إن النظرة الكلاسيكية للفقه الإسلامي تعرف السنة بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم المثالية ، وفي هذا المفهوم يستعمل الشافعي كلمة السنة وعنده أن « السنة » أو « سنة الرسول » صلى الله عليه وسلم كلمتان مترادفتان لكن معنى السنة – على وجه الدقة – إنما هو النظائر السابقة (**Precedent**) ومنهج للحياة) .

ويقول (إن مفهوم السنة في المجتمع الإسلامي في العصر الأول كان : الأمر العرفي أو الأمر المجتمع عليه) .

ولقد وضح جولد تسيهر (إنها مصطلح وثني في أصله وإنما تبناه واقتبسه الإسلام) .

---

١ – رواه الترمذى (١٩٦/٤) والامام أحمد (٤٢١/٥)
٢ – توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائرى ص ٢ – والسنة ومكانتها للسباعى ص ٤٧
٣ – ارشاد الفحول للشوكانى ص ٣١

وقال مارغوليونت : (إن معنى السنة في صدر الإسلام : ما كان عرفاً مألوفاً)(١) .

إن قوله هذا لا يستند إلى دليل وهو واهي في غاية الوهاء لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشرعاً بالوحي الإلهي لا مقلداً للأعراف الجاهلية لأنه لم يكن ثمّ أي عرف قبل تشريع النبي صلى الله عليه وسلم الأحكام بالوحي الإلهي إلا الأعراف الجاهلية ، ومحال أن يتبع النبي صلى الله عليه وسلم الأعراف الجاهلية بدل الوحي الإلهي ، وفساد كلامه ظاهر مستغن من الإطالة في ردّه .

وأما قول شاخت أن السنة ــ « إنما هي النظائر السابقة » فلم تكن ثمّ قبل زمان النبي صلى الله عليه وسلم إلا الجاهلية البحتة لأن شريعة ــ موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ــ كانتا حرفتا ومسختا ولم يبق أي عمل من شرائع الأنبياء السابقة إلا بعض أفعال الحج وتوحيد الله سبحانه وتعالى .

وخلاصة القول : إن السنة معناها في اللغة ــ الطريقة والعادة حسنة كانت أم سيئة ، وقد استعملها الإسلام في معناها اللغوي ثم خصصها بطريق النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن ناحية أخرى فإن هذه الكلمة لم تكن مصطلحاً وثنياً قط ولم يكن يقصد بها عند المسلمين ــ عرف المجتمع اهـ .

---

١ ــ انظر دراسات فى الحديث النبوى للاعظمى ص ٥ ــ ٦

الفصل الثانى

(مكانة السنة التشريعية)

القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول في الإسلام ، والسنة هي المصدر الثاني لأنها مبينة لأحكامه موضحة لإبهامه ومخصصة لإطلاقه ومشرحة لأحكامه وأهدافه . قال تعالى :

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْر لِتُبَيِّن للنَّاس ما نزِّلَ إليهم ولعَلَّهم يَتَفَكَّرُون »(١) .

وقال : **« وَمَا أَنْزَلْنَا عليْكَ الكِتَابَ إلاَّ لِتُبَيِّن لهمْ الذي اخْتَلَفُوا فيهِ وهُدَى وَرَحْمَةً لقَوْمٍ يُؤْمِنُون »(٢) .**

والرسول — صلى الله عليه وسلم — كما خُص بالوحي المتلو وهو القرآن الكريم كذلك خص بالوحي غير المتلو وهو السنة ، لا مندوحة عن اتباعها قال تعالى :

« وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى »(٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« ألا إني أُوتيت القرآن ومثله معه)(٤) . وهو السنة .

قال تعالى :

« وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نهَاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا »(٥) .

---

١ ــ النحل : الآية ٤٤   ٢ ــ النحل : الآية ٦٤

٣ ــ النجم : الآية ٣ ، ٤   ٤ ــ رواه أبو داود عن المقداد (١٠/٥)

٥ ــ الحشر : الآية ٧

وقد قرن الله طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بطاعته في آيات كثيرة من القرآن الكريم قال تعالى :

« وَأَطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرْحَمُون »(١) .

وألزم اتباعه عن طيب القلب تسليماً وانقياداً – فقال :

« يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وللرسُول إذا دَعاكُمْ لمَا يُحْيِيكُم »(٢) .

واعتبر طاعته طاعة لله وأتباعه حباً لله « مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله »(٣) . وقال : « قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبونَ الله فاتَّبِعُوني يُحْبِبكُم الله ويَغْفِر لَكُم ذُنُوبَكُم والله غَفُورٌ رَحِيمٌ »(٤) .

وحذر من مخالفة أمره « فَلْيَحْذَرِ الذينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِه أَنْ تصيبهم فِتْنَةَ أَوْ يُصِيبهم عَذَابٌ أليمٌ »(٥) .

ولم يسوغ للمؤمنين مطلقاً أن يخالفوه في شيء كائناً ما كان فقال :

« وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى الله وَرَسُولُه أَمْراً أنْ يكُون هُمُ الخِيرَةَ مِنْ أمْرِهم »(٦) .

وقد بينت السنة القرآن من وجوه فبينت ما أجمل من عبادات وأحكام فقد فرض الله الصلاة على المؤمنين من غير أن يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها فبين الرسول الكريم هذا بصلاته وتعليم المسلمين كيفية الصلاة فقال :

(صلوا كما رأيتموني أصلي)(٧) .

---

١ – آل عمران : الآية ١٣٢
٢ – الانفال : الآية ٢٤
٣ – النساء : الآية ٨٠
٤ – آل عمران : الآية ٣١
٥ – النور : الآية ٦٣
٦ – الاحزاب : الآية ٣٦
٧ – رواه الامام البخارى (١/١٢٥ – ١٢٦) بحاشية السندى .

وفرض الله الحج من غير أن يبين جميع مناسكه وجملة أحكامه ، وقد بين الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ تلك المناسك المجملة وكيفيتها وقال :

(خذوا عني مناسككم)(١) .

وفرض الزكاة من غير أن يبين ما تجب فيها من أموال وعروض وزروع كما لم يبين النصاب الذي تجب فيه ، فبينت السنة ذلك كلّه .

(وفي السنة أحكام لم ينص عليها الكتاب وليست بياناً له ولا تطبيقاً مؤكداً لما نص عليه كتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها)(٢) .

فخلاصة القول ـ أن السنة مصدر تشريعي مهم لا بد منه وأنها صنو الكتاب تسايره في الأحكام والتشريع على السواء وإنها لا يمكن الاستغناء عنها ولا يمكن فصلي السنة عن الكتاب بحال من الأحوال ولذلك قال الشافعي (فكل من قبل عن الله فرائضه ، قبل عن رسول الله سنته ، بفرض الله طاعة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على خلقه ، وأن ينتهوا إلى حكمه . ومن قبل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعن الله قبل ، لما افترض الله من طاعته)(٣) .

---

١ ـ رواه مسلم (٢/٩٤٣) وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/١٩٠)

٢ ـ السنة قبل التدوين لمحمد الخطيب ـ ص ٢٧

٣ ـ الرسالة للشافعي ـ ص ٣٣

الفصل الثالث

(حجية السنة)

اتفق العلماء الذين يعتد بهم قاطبة على حجية السنة . قال الشوكاني : (إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام)(١) .

والقرآن والسنة وإجماع الأمة مطبقة على لزوم أتباع السنة ــ قال تعالى :

« قُلْ إن كُنْتم تُحِبُّونَ اللهَ فاتّبِعُوني يُحْبِبْكُم الله ويَغْفِر لكُم ذُنُوبَكُم »(٢)

وقال :

« يا أيُّها الذينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُو الرَّسُولَ وَأُولي الأمْرِ منْكُم فإنْ تَنَازَعْتم في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُول إنْ كُنْتم تُؤْمنُون بالله واليَوْمِ الآخر »(٣) .

قال ميمون بن مهران : (الرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرجوع إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته) وقال تعالى :

« وما آتَاكُم الرَّسُول فَخُذُوه وَما نَهاكُم عَنْهُ فانْتَهُوا »(٤) .

---

١ ــ ارشاد الفحول ــ ص ٢٩
٢ ــ آل عمران : الآية ٣١
٣ ــ النساء الآية ٥٩
٤ ــ الحشر : الآية ٧

فقد جعل سبحانه أمر رسوله واجب الاتباع ونهيه واجب الانتهاء عنه ، وهذه الآية تعتبر أصلا لكل ماجاءت السنة به مما لم يرد له ذكر في القرآن وعلى هذا الدرب سار من جاء بعد الصحابة من أئمة العلم والدين . فقد ذكر ابن عبد البر في كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن يزيد : أنه رأى محرماً عليه ثيابه فقال ائتني بأية من كتاب الله تنزع ثيابي ، قال فقرأ عليه :

(وما آتاكم الرسول فخذوه) .

وقال عليه الصلاة والسلام :

(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » (١) .

وقال :

(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي)(٢) .

وقال البيهقي : (ولولا ثبوت الحجة بالسنة لما قال صلى الله عليه وسلم في خطبته بعد تعليم من شهدها أمر دينهم :

(ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع)(٣) .

---

١ ـ رواه الحاكم فى المستدرك (٩٦/١) وقال الذهبى صحيح . وابوداؤد فى سننه (١٤/٥) وابن ماجة فى المقدمة (١٦/١) والدارمي فى باب اتباع السنة (٤/١) واخرج الترمذى بعضه (٤١٧/٧) فى باب العلم والامام احمد فى المسند (١٢٦/٤ ، ١٢٧)

٢ ـ رواه الترمذى فى المناقب (٤١٧/٧) والامام احمد فى المسند (٥١/١) و (٥٩/٣) والحاكم فى المستدرك وذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (١٨٠/٢) .

٣ ـ رواه البخارى ـ فتح البارى (١٥٨/١ ، ١٩٧) و (٥٧٤/٣) والامام مسلم فى الحج (٨٥/١ ـ ٨٦) والترمذى (٥٣٧/٣) و الدرامى (٣٩٤/١ والامام احمد المسند (٢١/٤ ، ٣٢) و (٤/٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ٣٤٢ ، ٣٦٦ ، ٤١١) و (٣٨٥/٦ ، ٤٥٦)

ثم أورد حديث :

(نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فأداه كماسمعه فرب مبلغ أوعى من سامع)(٤) .

قال الشافعي : فلمّا ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها ، دلّ على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدّي إليه لأنه إنما يؤدي عنه حلال يؤتي وحرام يجتنب وحد يقام ومال يؤخذ ويعطى ونصيحة في دين ودنيا .

ثم أورد البيهقي حديث أبي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكة يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه يقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)(١) .

وفي حديث المقداد أن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم أشياء يوم خيبر الحمار الأهلي وغيره ثم قال :

(يوشك الرجل متكئاً على أريكة يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله)(٢) .

---

١ ـ رواه الحاكم (١/٨٧ ، ٨٨٨) بلفظ (نضر الله عبدا) وقال : على شرطهما ووافقه الذهبى ، وبلفظ اخر (رحم الله عبدا سمع مقالتى) وابن ماجة (١/٨٦) والترمذى (٧/٤١٧) وله شاهد عند ابن ماجـــة (١/٨٦) وعن زيد ابن ثابت (١/٨٤) ومحمد بن جبير (١/٨٥)

٢ ـ رواه أبو داؤد فى سننه (٥/١٢) والترمذى فىكتاب العلم(٧/٤٢٤) وقال حسن ، وابن ماجة (١/١٦) والدارمي (١/١١٧) بلفظ (ليوشـــكن الرجل) والامام احمد فى مسنده (٢/٣٦٨) و (٤/١٣١ ، ١٣٢)

٣ ـ رواه ابن ماجة عن معد يكرب (١/٦) وأبو داؤد باسناد صحيح ٠

ثم قال البيهقي :

وهذا خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يكون من بعده من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعده)(١) .

ثم أخرج البيهقي بسنده عن شبيب بن أبي فضالة المكي أن عمران ابن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة فقال رجل من القوم يا أبا نجد إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن فغضب عمران وقال لرجل قرأت القرآن قال نعم قال فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعاً ووجدت المغرب ثلاثاً والغداة ركعتين والظهر والعصر أربعاً قال لا فعن من أخذتم ذلك ألستم عنّا أخذتموه وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أوجدتم فيه من كل أربعين شاة شاة وفي كل كذا بعيراً كذا وفي كل درهم كذا قال لا قال فعن من أخذتم ذلك ألستم عنّا أخذتموه وأخذناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وقال وجدتم في القرآن « **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** » أوجدتم فيه فطوفوا سبعاً واركعوا ركعتين خلف المقام أوجدتم في القرآن لا جلب ولاجنب في الإسلام أما سمعتم الله قال في كتابه : « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** » قال عمران فقد أخذنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء ليس لكم بها علم(٢) .

وأما الحديث الذي يرويه القائلون بعدم استقلال السنة بالتشريع وهو :

(إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه)(٣) .

فقد بين جهابذة الحديث وصيارفته أنه موضوع مختلق على النبي صلى الله عليه وسلم وضعته الزنادقة كي يصلوا إلى أغراضهم الدنيئة من تحريف الشريعة

---

١ ـ مفتاح الجنة ـ ص٥ ـ ٦ ٢ ـ مفتاح الجنة ـ ص ٦

٣ ـ مفتاح الجنة ـ ص ٥ ـ ٦

حسب أهوائهم ونزعاتهم وقد بحث في هذا الحديث بعض الأئمة فقال عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفاً له لأنا وجدنا في كتاب الله :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »

ووجدنا فيه :

« قُلْ إنْ كُنْتم تُحِبُّونَ اللهَ فاتّبِعُوني يُحْبِبْكُم الله » .

وجدنا فيه :

« وَمَنْ يُطعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ الله »(١) .

وهكذا نرى أن القرآن الكريم يفند هذا الحديث ويرده .

قال السيوطي (فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وسلم قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الإسلام وحشر مع اليهود والنصارى أو مع من شاء الله من فرق الكفر) .

وروى الإمام الشافعي رضي الله عنه يوماً حديثاً وقال إنه صحيح فقال له قائل : أتقول به يا أبا عبد الله فاضطرب وقال : يا هذا أرئيتني نصرانياً أرأيتني خارجاً من كنيسة أرأيت في وسطي زناراً أروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقول به ؟(٢) أهـ .

---

١ ـ ارشاد الفحول ـ ص ١٣ ـ ١٤
٢ ـ مفتاح الجنة ـ ص ٣

الفصل الرابع

(جهود العلماء لحفظ السنة)

أسلفنا في الفصلين السابقين ـ مكانة السنة التشريعية وحجية السنة ونذكر في هذا الفصل نبذة من جهود العلماء من لدن الصحابة والتابعين لحفظ السنة وصيانتها لندلّل على أن السنة حظيت من أول يومها بسياج وحماية منقطعة النظير ، وما ذلك إلا لأنهم عرفوا منزلة السنة وإنها المصدر التشريعي الأول بعد القرآن الكريم ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على السنة نورها وبالغوا في التحري والتثبت في روايتها خشية الوقوع في الخطأ وخوفاً من أن يتسرب إليها التصحيف أو التحريف . بل إن بعضهم فضل الإقلال من الرواية ، قال ابن قتيبة (كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليها وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية يريد بذلك ألايتسع الناس فيها ويدخلها الشوب ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي ، كان كثير من وجهاء الصحابة وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقلون الرواية عنه ، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئاً كسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة)(١) .

وكما احتاط السلف في التحديث احتاطوا وتثبتوا في قبول الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الذهبي (كان أبو بكر رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن دؤيب

---

١ ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ـ ص ٤٨ ، ٤٩

أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال : لا أجد لك في كتاب الله شيئاً وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئاً ثم سأل الناس فقام المغيرة وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس فقال هل معك غيرك فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه)(١) .

وفي صحيح مسلم(٢) (استشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس في ملاص المرأة(٣) فقال المغيرة بن شعبة : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة : عبداً أو أمة قال فقال عمر ائتني بمن يشهد معك قال فشهد له محمد بن مسلمة) .

وحدث لعمر مثل هذه الحادثة مع كثير من الصحابة منهم أبي بن كعب وأبي موسى وفي رواية قال عمر لأبي موسى (أما إني لم اتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم)(٤) .

وعن علي كرم الله وجهه قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله بما شاء منه وإذا حدثني غيره استحلفته فإذا حلف لي صدقته ، وإن أبا بكر حدثني وصدق أبو بكر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء فيصلّ ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له)(٥) .

---

١ ــ رواه الترمذى (٦/٢٧٨ ــ ٢٧٩) وقال حسن صحيح ، وأبو داؤد فى الفرائض (٣/٣١٦) وابن ماجه (٢/٩٠٩) ومالك (٢/٥١٣) والكفاية ــ ص ٢٦

٢ ــ صحيح مسلم (٣/١٣١١)   ٣ ــ هو جنين المرأة

٤ ــ مؤطا الامام مالك (٢/٩٦٤)

٥ ــ رواه أحمد (١/١٥٤ ، ١٧٤ ، ٣٨٧) وابن ماجة (١/٤٤٦) ورقم الحديث (١٣٩٥) والكفاية ــ ص ٢٨

هذا لا يعني أن الصحابة اشترطوا لقبول الحديث أن يرويه راويان فأكثر أو يشهد الناس على الراوي أو أن يستحلف بل كان الحامل لهم على هذا ألا يسترسل الناس في رواية الحديث ويتساهلوا فيه من غير تحرٍ وتثبت كاف فيقعوا في الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث شعروا أو لم يشعروا ويتضح هذا من قول عمر لأبي موسى (أما إني لم أتهمك ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم) وإلا فقد قبلوا أحاديث كثيرة برواية الآحاد وبنوا عليها أحكامهم ، فقد ورد أن عمر ذكر المجوس فقال ما أدري كيف اصنع في أمرهم فقال له عبد الرحمن ابن عوف أشهد أني لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » (١)

وأراد رجم مجنونة حتى أعلم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاث» (٢) فأمر أن لا ترجم .

يتبين من هذا أن الخلفاء الأربعة لم تكن لهم شروط معينة لقبول الأخبار وإن كل ما روى عنهم ما يوهم ذلك لا يعدو التثبت والتأكد وكل ما صدر عنهم كان في سبيل الحفاظ على السنة المطهرة وألا يشوبها ما ليس منها .

ومن الجهود التي بذلت للحفاظ على السنة وضع ضوابط مقررة تعرف بها قوة الحديث أو وهنه منها علم إسناد الحديث وقد بدأ المطالبة به منذ وقت مبكر واهتم به العلماء حتى جعلوه من الدين ، قال عبد الله بن المبارك (الإسناد من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء) وقال (بيننا وبين القوم قوائم)(٣) يعني الإسناد .

---

١ ـ انظر الكفاية للخطيب البغدادى ـ ص ٢٧ والاحكام (١٣/٢)

٢ ـ رواه ابن ماجة (٦٥٨/١) والدارمى (٩٣/٢) وأبو داؤد (٥٥٩/٤) والامام احمد (١٠٠/٦ ، ١٠١ ، ١٤٤)

٣ ـ السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور مصطفى السباعى ص ٩٢

ومنها ـ أيضاً ـ نقد الرواة وبيان حالهم ومن تقبل روايته ومن لا تقبل من خلال دراسة الراوي سيرة وتاريخاً وما خفى من أمره وما ظهر . ولم تأخذ العلماء في ذلك لومة لائم . قيل ليحيى بن سعيد القطان (أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة ؟ فقال لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لِمَ لَمْ تذب الكذب عن حديثي)(1) .

هذه بعض جهود العلماء لحفظ السنة ولاسبيل إلى استقصاء جهود علماء السنة في الحفاظ عليها والإفاضة في بيانها في هذا المختصر .

---

١ ـ السنة ومكانتها ص ٩٢

الباب الثانى
(السنة ومنكروها قديما)

لما كان منكروا السنة حديثاً قد تعلقوا بكثير من آراء منكري السنة قديماً وكان لمنكري السنة قديماً أثر كبير في ظهور منكري السنة حديثاً لذا رأيت أن أقدم نبذة سريعة ونظرة عاجلة عن منكري السنة قديماً في ثلاثة فصول :

١ ــ الفصل الأول : السنة والخوارج .

١ ــ الفصل الثاني : السنة والشيعة .

٣ ــ الفصل الثالث : السنة والمعتزلة .

تمهيد

ذكرنا – فيما سبق – مكانة السنة في التشريع الإسلامي وإنها صنو الكتاب ولا يمكن الاستغناء عنها والاعتماد على القرآن وحده ، وأنه لا يمكن الجمع بين دعوى الالتزام بتعاليم الإسلام وإنكار حجية السنة النبوية إلا أن بعض الناس قد يجهلون أو يتجاهلون البدهيات من الأمور وهذا الذي حدث بالنسبة للسنة النبوية الشريفة .

قال أمية بن خالد لعبد الله بن عمر (إنا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر في القرآن ، فقال عبد الله : يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمداً – صلى الله عليه وسلم – ولا نعلم شيئاً فإنما نفعل كما رأينا محمداً – صلى الله عليه وسلم – يفعل)(١)

ثم كثر أصحاب هذه الفتنة حتى قال أيوب السختياني (إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا وحدثنا من القرآن فاعلم أنه ضال مضل) (٢) إلا أن هذا الاتجاه لم يكن عاماً جماعياً حيث لم يكن هناك حرب أو جماعة تعرف بهذا الاتجاه وإنما كان ثمة أفراد معدودون وأشخاص معروفون بالإلحاد والزندقة وبشكل خاص بالعراق .

ثم دار الزمان دوره فقبيل نهاية القرن الثاني وجدت شرذمة أنكرت حجية السنة كمصدر للتشريع ، وأخرى أنكرت حجية غير المتواتر منها ، وإليك بعض هذه الطوائف :

---

١ – رواه الحاكم فى المستدرك (١/٢٥٨) وسلمه الذهبى
٢ – الكفاية للخطيب – ص ١٦

الفصل الاول

(السنة والخوارج)

الخوارج – إن لم ينغمسوا في رذيلة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل أغمار الشيعة – نظراً لصراحتهم وتقواهم وبداوة طبائعهم وبُعدهم عن الأخذ بمذهب التقية الذي يؤمن به الشيعة ، لكنهم خالفوا الجمهور في مواقف تشريعية كثيرة ، فرويت عنهم أحكام غريبة مثل إباحتهم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وإنكارهم حكم الرجم الوارد في السنة ولم يكن سبب ذلك – كما زعم بعض الكاتبين – جهلهم بالدين وجرأتهم على الله واستحلالهم لما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، بل كان سببه ما ذهبوا إليه من رد الآحاديث التي خرجت بعد الفتنة أو التي اشترك رواتها بالفتنة وإنه لبلاء عظيم أن نسقط عدالة الصحابة الذين اشتركوا في النزاع مع علي أو معاوية أو نسقط أحاديثهم ونحكم بكفرهم أو فسقهم ، وهم في هذا الرأي لا يقلون عن الشيعة خطراً وفساد رأي وسوء نتيجة(١) .

إلا أنه ليس كل الخوارج على هذه النحلة بل هناك فرقة منهم تسمى – الإباضية – يقبلون الأحاديث النبوية ويروون عن علي وعثمان وعائشة وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم .

وأما أخذهم بخبر الآحاد فواضح مما كتبوه في أصول الفقه ، ومن هنا لا ينبغي إطلاق القول بأن كافة الخوارج يرفضون السنة التي رواها الصحابة بعد التحكيم أو قبله ، إلا أن السنة الصحيحة قد لقيت من الخوارج والشيعة – عنتاً كبيراً وكان لآرائهم الباطلة في الصحابة أثر كبير في اختلاف الآراء والأحكام في الفقه وفيما أثير حول السنة من شبه فيما بعد .

---

١ – انظر السنة ومكانتها للدكتور السباعي (ص ١٣٢ – ١٣٣) وتأويل مختلف الحديث (ص ١٧ ، ٢٠) وما بعدها

الفصل الثانى
(السنة والشيعة)

الشيعة طوائف عديدة وفرق كثيرة والموجود منهم حالياً في العالم الإسلامي أكثرهم من الإثني عشرية ، يطعنون في أبي بكر وعمر وعثمان ومن شايعهم من الصحابة ويلفقون التهم على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وينالون من طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ويحطون على جمهور الصحابة إلا علياً وشيعته من الصحابة — على زعمهم — وقد ذكر بعضهم أنهم من ثلاثة إلى خمسة عشر صحابياً فقط ، وأقاموا على ذلك مذاهبهم من رد أحاديث جمهور الصحابة إلا ما رواه شيعة علي رضي الله عنه ، على أن تكون رواية الأحاديث التي يقبلونها من طرق أئمتهم لإعتقادهم عصمتهم أو عن طريق من هو على نحلتهم ، والقاعدة العامة عندهم أن من لم يوالِ علياً — على التفصيل الذي عندهم — فقد خان وصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — ونازع أئمة الحق فليس أهلا للثقة والاعتماد مع أنهم أكذب الطوائف كلها . قال الشافعي « ما رأيت أشهد بالزور من الرافضة » وقال صاحب الوشيعة (إدعت كل كتب الشيعة أن الأئمة أولاد علي كانت تنكر كل حديث يرويه إمام من أئمة الأمة وأن الأخذ بنقيض ما أخذته الأمة أسهل طريق في الإصابة وكل خبر وافق الأمة باطل وما خالف الأمة ففيه الرشاد وكان الإمام يقول (دعوا ما وافق القوم فإن الرشد في خلاف القوم) وتقول شيعة : إن وافق الكل يجب الوقوف (أي التوقف) وكان الصادق يأمر بما فيه خلاف العامة (أهل السنة والجماعة) وكان يقول : إن علياً لم يكن يدين بدين إلا كانت الأمة تخالفه إلى غيره إبطالا لأمر علي)(١) .

---

١ — الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة — لموسى جار الله (ص ٢٦)

هذه دعوة الشيعة ، وهذا أصل من أصولهم مما يقضي منه العجب ، وذكر السيوطي : أن من غلاة الرافضة من ذهبوا إلى إنكار الإحتجاج بالسنة والإقتصار على القرآن ، فهم يعتقدون أن النبوة لعلي ، وأن جبريل أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من أقر للنبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة ولكن قال أن الخلافة كانت حقاً لعلي ، فلما عدل بها الصحابة عنه إلى أبي بكر قال هؤلاء ـ المخذولون لعنهم الله ـ كفروا وعدلوا بالحق مستحقه ، وكفروا علياً ـ رضي الله عنه ـ أيضاً لعدم طلبه حقه ، فبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها لأنها عندهم ـ بزعمهم ـ من رواية قوم كفار ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون) (١) .

ان عدالة الصحابة أمر مقرر بإجماع المسلمين وهو معلوم من الدين بالضرورة لأنه ورد فيهم ما يوجب لهم الجلالة ويجعلهم في قمة الثقة والأمانة . فهم جلساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختارهم الله لصحبة رسوله وجعلهم أمناء على حديثه ، كيف لا ، وقد زكاهم الله ورسوله واجتمعت الأمة على ذلك فلا سبيل إلى الطعن فيهم ، قال تعالى :

« مُحمّد رَسُولُ الله والّذينَ مَعَهُ أشدّاء على الكُفّارِ رُحماء بَيْنَهم تَراهُم رُكّعاً سُجّداً يَبْتغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوانا سيماهُم في وُجوهِهم مِن أثَرِ السُّجود ذلك مَثلُهم في التّوراةِ ومَثَلُهم في الإنْجيلِ » الآية (٢) .

وقال : **« والسّابقُونَ الأوّلون مِنَ المُهاجِرينَ والأنْصار والّذينَ اتبعوهُم بإحْسان رَضِي اللهُ عَنهُم وَرَضُوا عنهُ وأعدّلهم جنّات تجري تحتها الأنهارُ خالِدينَ فيها أبَدا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظيم » (٣) .**

---

١ ـ مفتاح الجنة (ص ٣ ، ٤)
٢ ـ سورة الفتح : الآية ٢٩
٣ ـ سورة التوبة : الآية ١٠٠

وقال : « للفُقَراء المُهاجِرينَ الّذينَ أخْرِجُوا مِن دِيارِهِم وأموَالِهم يبتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ ورِضْوانا ويَنصرونَ اللهَ ورَسُوله أولَئِك هم الصَّادِقُون » (١) .

وقال سبحانه : « لَقَد رَضي اللهُ عَنِ المُؤْمنينَ إذْ يُبايِعُونَكَ تحتَ الشَّجرَةِ فَعَلِمَ ما في قُلُوبهم فَأنْزَلَ السَّكينَة عَليهم وأثابهم فتحاً قريباً » (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) (٣) .

وقال : (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمّتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمّتي ما يوعدون) (٤) .

وقال عبد الله بن مسعود : (من كان منكم مستنا فليستّن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) (٥) .

---

١ ــ الحشر : الآية ٨
٢ ــ الفتح : الآية ١٨
٣ ــ صحيح مسلم (١٩٦٧/٤ ــ ١٩٦٨)
٤ ــ صحيح مسلم (١٩٦١/٤) وتيسير الوصول الى جامع الاصول (٢٢٦/٣)
٥ ــ شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٢

ولله در أبي زرعة الرازي ما أحسن قوله : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة فالجرح بهم أولى) (١) .

هذا هو الحق الصراح والصدق القراح انهم تذرعوا بإنكار السنة وحجيتها إلى إبطالها رأساً وبذلك مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأعجب بكفر هؤلاء ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون .

---

١ ـ الكفاية للخطيب البغدادى ص ٤٩

الفصل الثالث

(السنّة والمعتزلة)

اختلفت نقول العلماء من موقف المعتزلة من السنة ، والذي استنتجه الخضري من كتابات الشافعي ومال إلى ذلك الأستاذ السباعي بأن الفرقة التي ردت الأخبار كلها هي المعتزلة (١) لأنهم كانوا يزنون جميع الأشياء بعقولهم الفاسدة وأذهانهم القاصرة ، ولا شك أن العقل الإنساني مهما بلغ من الذروة والكمال فلا بد أن يبقى قاصراً عن إدراك بعض الحقائق ولا سيما الأمور التعبدية غير المعللة كما قال الشافعي : (كما أن الحواس لها حد تنتهي إليه كذلك العقل له حد ينتهي إليه ويقصر دونه) .

والواقع أن نقول العلماء عن موقف المعتزلة من السنة قد اضطربت ــ كما قال السباعي ــ هل هم مع الجمهور في القول بحجيتها بقسميها المتواتر والأحاد أم ينكرون حجيتها بقسميها أم يقولون بحجية المتواتر وينكرون حجية خبر الاحاد .

وذكر السباعي نقولا عن الآمدي وابن حزم وابن القيم ثم قال : (وهذه النقول ــ كما ترى ــ متضاربة لا تعطينا حكماً صحيحاً في المسألة (ثم تحدث عن مذهب النظام وأنه ينكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم من إنشقاق القمر وتسبيح الحصى في يده ونبع الماء من بين أصابعه ليتوصل من ذلك إلى إنكار نبوته . ثم انه استثقل أحكام شريعة الإسلام في فروعها ولم يجرؤ على إظهار

---

١ ــ السنة ومكانتها (ص ١٣٤ ــ ١٣٥)

رفعها فأبطل الطرق الدالة عليها فأنكر لأجل ذلك حجية الإجماع وحجية القياس في الفروع الشرعية وأنكر الحجة من الأخبار التي لا توجب العلم الضروري . . كما عاب أصحاب الحديث وروايتهم أحاديث أبي هريرة وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس وطعن في الفاروق رضي الله عنه وزعم أنه شك يوم الحديبية في دينه وشك يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه ضرب فاطمة وابتدع صلاة التراويح ، وطعن في عثمان لاستعماله الوليد ابن عقبة على الكوفة حتى صلى بالناس وهو سكران ، وطعن في علي وابن مسعود ونسب الصحابة إلى الجهل والنفاق . . إلى آخر هذيانه (١) .

ومنه نرى أن المعتزلة ما بين شاك في عدالة الصحابة منذ عهد الفتنة كـ (واصل) وما بين موقن بفسقهم كـ (عمرو بن عبير) وما بين طاعن في أعلامهم متهم لهم بالكذب والجهل والنفاق وذلك يوجب ردهم – على زعمهم – للأحاديث التي جاءت من طريق هؤلاء الصحابة (٢) .

ما أسخف هذا الدليل وما أوهى هذا الاستدلال فيا لله لدواوين السنة وكتب الحديث ، نعوذ بالله من الخذلان واستحواذ الشيطان من لم يهده فلا هادي له .

« وقد كان موقف المعتزلة من السنة هذا الموقف المتطرف المباين لعقيدة جمهور المسلمين أثر كبير في الجفاء بين علماء السنة ورؤوس المعتزلة ، تراشق على أثره الفريقان التهم ، فالمعتزلة يرمون المحدثين بروايتهم الأكاذيب والأباطيل – على زعمهم – بأنهم زوامل للأخبار لا يفهمون ما يروون . . بينما يتهم المحدثون أئمة الاعتزال بالفسق والفجور والابتداع في الدين والقول بأراء ما نزّل الله بها من سلطان .

---

١ – السنة ومكانتها – ص ١٣٥
٢ – السنة ومكانتها – ص ١٤٠

هذا وقد أدى مع الأسف هذا الصراع إلى نتيجتين خطيرتين فيما يتعلق بالسنة :

أولاهما : ما فتحه رؤساء المعتزلة من ثغرات في مكانة الصحابة استطاع منها أن يلج المتعصبون من المستشرقين ويجرؤوا على رميهم بالكذب والتلاعب في دين الله مستدلين إلى ما افتراه النظام وأمثاله عليهم ، وقد تبع المستشرقين في هذا بعض كتاب المسلمين كأحمد أمين وأبي رية وغيرهما .

ثانيتهما : أن جمهور المعتزلة كانوا في الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه حتى أن بشر المريسي كان من أبرز رؤوس المعتزلة في عصره : قالوا انه كان في الفقه على رأي أبي يوسف (١) .

فلما أشرعت الخصومة بين أهل الحديث وأهل الاعتزال جرح المحدثون كل من قال بخلق القرآن وجر على ذلك بعض المغالين منهم إلى أن يجرح كثيراً من أصحاب أبي حنيفة بحجة أنهم يقولون بالرأي ولا ذنب لهم إلا أن مذهب أبي حنيفة ـ كان مذهب خصومهم المعتزلة ، حتى أن الإمام أبا حنيفة نفسه لم يسلم من أذى الذين جاءوا بعده من أولئك المحدثين فلقد نسبوا إليه القول بخلق القرآن مع أن الثابت عنه بنقل الثقات غير ذلك ، ومع أن محمد بن الحسن كان يقول : (من صلى خلف المعتزلي يعيد صلاته) .

هذا وقد وجد قديماً بعض الأشخاص أو بعض الفرق التي طعنت في السنة ولكنها انحزمت وضمّهُم الدهر إليه بنهاية القرن الثاني أو على الأكثر بنهاية القرن الثالث ولم تقم لها قائمة بعد ذلك . وقد أحييت الفتنة مرة أخرى في القرن الماضي بتأثير من الاستعمار الغربي كما سنراه قريباً .

---

١ ـ الفرق بين الفرق ـ ص ١٢٤ ـ والسنة ومكانتها ـ ص ١٤٢

الباب الثالث

(السّنة ومنكروها حديثا)

عرض وتحليل

وفيه ستة فصول :

١ ـ السنة والمستشرقون .
٢ ـ السنة والدكتور توفيق صدقي .
٣ ـ السنة والأستاذ أحمد أمين .
٤ ـ السنة ومحمود أبي رية .
٥ ـ السنة والدكتور أحمد زكي أبي شادي .
٦ ـ السنة ومنكروها في القارة الهندية .

تمهيـــــد

ذكرنا في الفصل الماضي وجود شرذمة قبيل نهاية القرن الثاني دعت إلى نبذ السنة النبوية وجحودها إلا أن هؤلاء بقوا مخذولين مغمورين إلى نهـــاية القرن الثاني أو على الأكثر نهاية القرن الثالث ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك .

وظلت الأمة الإسلامية آمنة طوال أحد عشر قرنا من هذه الفتنة حتى جاء عهد الإستعمار وبدأ المستعمرون بنشر أفكارهم الخبيثة للقضاء على مقومات الإسلام وتحقيق مآربهم الإستعمارية من تمزيق المسلمين وتشتيتهم شذر مذر .

وقد اتخذ المستعمرون مهاجمة السنة والتشكيك في حجيتها وصدق جامعيها ورواتها كوسيلة للقضاء على مصادر التشريع ليغزوا المسلمين — بعد ذلك — غزواً فكرياً .

ومن البلية أنهم وجدوا من أبناء المسلمين من ينتمون إلى آباء المسلمين ويتظاهرون بالإسلام و الغيرة عليه و هم ألد أعدائه وأشد ولاء لسادتهم المستشرقين المستعمرين المنطوين على الحقد الدفين ضد الإسلام والمسلمين وعملاء تحقيق خططهم الإستعمارية لأنهم ربوا في أحضان الحضارة الغربية وتشبعوا بثقافتها الإلحادية فلم يحل لهم إلا معايرها ولم يرق في نظرهم إلا إلحادها وانحرافها عن كل ما يمت بصلة إلى القيم الإسلامية وتعاليمها الصافية التي منبعها الكتاب والسنة . ولما رأوا أنه لا يمكن لهم عداء الإسلام جهراً وتشويه تعاليمه ظاهراً مع الحفاظ على مصالحهم وتعايشهم في البيئة الإسلامية تلطفوا في تحقيق مآربهم بالدسائس الخفية والحيل اللطيفة بإثارة الشبهات الواهية والمغالطات المكشوفة في طريق السنة وفي السنة نفسها فانطلت دسيستهم على الأغمار وراجت خديعتهم على الأغرار .

ولكن جرت سنة الله انه لم تكن فتنة إلا قيض الله من يقمعها وما أصاب المسلمين غمة إلا ندب الله من يجلوها كما قال تعالى :

« بَل نَقْذفُ بالحَقّ على البَاطِل فيَدْمَغهُ فإذا هُو زَاهِق » (١) .

وقال : « إنّا نحنُ نزّلْنا الذّكْر وَإنّا لَه لَحافِظون » (٢) .

فتفطن لها المحدثون (٣) . وأدرك مدى خطرها وتفاقم شرها السادة المتقون ، فكشفوا أضاليلهم وفندوا أباطيلهم فصارت فتنتهم هباء منثورا كأنْ لم يكن شيئاً مذكورا ، والحمد لله رب العالمين ..

وها نحن نقدم طائفة من هؤلاء الذين تعرضت السنة المباركة لمطاعنهم وشبهاتهم ومغالطاتهم :

نقول وبالله التوفيق :

---

١ ـ الانبياء : الآية ١٨
٢ ـ الحجر : الآية ٩
٣ ـ أى الملهمون

الفصل الاول

(السّنة والمستشرقون)

نظرة تاريخية لدراسة المستشرقين للسنة

لم يتجه المستشرقون إلى دراسة الأحاديث النبوية في وقت مبكر ولعل أوّل من قام بمحاولة دراسة الأحاديث النبوية هو المستشرق (جولد تسهير) الذي نشر نتيجة بحثه سنة ١٨٩٠م بعنوان (دراسات إسلامية) باللغة الألمـــانية . وحظى كتابه هذا مكاناً مرموقاً في دائرة الاستشراق من ذلك الوقت حتّى الآن وعدّ كتابه إنجيلا مقدساً عندهم .

ثم بعد ذلك – وبمضي أكثر من نصف قرن – نشط البروفسور المستشرق – شاخت – وأمضى وقتاً غير قليل في البحث والتنقيب في معادن الأحاديث الفقهية وخلاصة ما وصل إليه من نتائج « أنه ليس هناك حديث واحد صحيح وخاصة الأحاديث الفقهية » وأصبح كتابه إنجيلا ثانياً لعالم الاستشراق وفاق (شاخت) سلفه (جولد تسهير) حيث غيّر من نظرته التشكيكية في صحة الأحاديث إلى نظرة متيقنة في عدم صحتها .

ولقد ترك كتابه هذا أثراً عميقاً في تفكير دارسي الحضارة الإسلامية حتّى قال المستشرق (جب) :

(انه – يعني كتاب شاخت (سيكون في المستقبل أساساً لكافة الدراسات عن الحضارة الإسلامية والتشريع وعلى الأقل في الغرب) .

ولم تنشر بحوث في السنة بأقلام المستشرقين في غضون ثلاثة أرباع قرن – ما عدا هذين الكتابين – اللهم إلا عدة مقالات لا تمس الموضوع إلا من بعيد .

وخلاصة القول ـ أن الأحاديث النبوية لم يتجه إلى دراستها إلا عدد قليل جداً من المستشرقين ، ومع ذلك فإن بحوثهم لم تكن ناضجة ، ومناهج بحثهم لم تكن علمية ، ويمثل ذروة هذه الدراسات كتابات « شاخت » التي أصبحت من المصادر الأساسية لكتاب الغرب بل ولكثير من كتاب الشرق الذين قاموا بأخطر دور في تاريخ البحث العلمي فيما يتعلق بالحديث النبوي ، ومن ثم وجهت سهام الطعن إلى السنة النبوية من قبل مختلف الأشخاص ومن مختلف الزوايا وتناول كل فريق منهم جانباً من جوانبها المختلفة .

فمنهم من طعن في حجية السنة ومكانتها التشريعية ومنهم من ادعى تأخر كتابة الأحاديث إلى قرن أو أكثر ثم استنتج من ذلك أنه لا يمكن الاعتماد عليها ، ومنهم من أثار الشك في الأسانيد وقيمتها العلمية . وقال قائل منهم كيف نقبل الأحاديث ونعتبرها صحيحة وقد بلغ عددها سبعمائة ألف . ألم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم مشغل شاغل إلا الكلام فقط ، ومنهم من أضاف إلى ذلك تساؤلا آخر فقال :

ان الأحاديث الموجودة في أيدينا لا تصل إلى مائة ألف فأين بقية الرصيد المدعى .

ومنهم من استنتج نتيجة أخرى فقال : لقد انتشر الكذب في الحديث فبلغ في عهد البخاري حداً لم يجد بسببه إلا حديثاً واحداً صحيحاً من كل مائة وخمسين أفلا يحق لنا أن ننتقد هذه المجموعة أيضاً ـ مجموعة البخاري نفسها ـ فنختار منها ما نختار بالبحث والتحقيق وندع ما ندع غير آسفين لنا قدر في البخاري .

ومنهم من حكم قائلا ـ كغلام أحمد البرويز ـ أن الأحاديث إنما كانت مؤامرة أعجمية على نقاءة الإسلام وصفائه وبساطته وقد تجمعت هذه الأفكار

فتجسدت في كتابات (شاخت) الذي ادعى بعد بحث مضنن أنه ليس هناك حديث واحد صحيح ، وخاصة الأحاديث الفقهية وأنها في الواقع – على حد زعمه – كلام علماء المسلمين من القرن الثاني والثالث الهجريين وأقاويلهم وضعت على لسان النبي صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً (١) .

---

١ ـ من مقدمة دراسات الحديث النبوى للاعظمى ـ بتصرف

(عرض تاريخى لأغراض المستشرقين)

إذا كانت عداوة أهل الصليب للإسلام قديمة وشديدة فإنها اشتدت بعد ما فتح صلاح الدين الأيوبي القدس وارتدت الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة وهى التي كانت تحلم في استعمار بلاد الشام وما حولها .

إذاً فأهم أهداف المستشرقين هو الطعن في الإسلام وتشويه حقائقه لكونه الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين .

وهناك دافع سياسي استعماري وذلك لما سمع ملوك أوربا بما تتمتع به بلاد الإسلام من طمأنينة ومدنية وأراضي خصبة ، كما سمعوا الشيء الكثير عن ثرواتها ومصانعها فجاءوا يقودون جيوشهم باسم المسيح وما في نفوسهم في الحق إلا الرغبة في الإستعمار والفتح والاستئثار بخيرات المسلمين وجعلهم طوع بنانهم لمقاصدهم الإستعمارية وأداة مرنة لبلوغ مآربهم .

وشاء الله أن تندحر الحملة الصليبية كلها مهزومة بعد حروب دامت قرابة قرنين من الزمان وترجع إلى ديارها تحمل في قلوبها الحسرة غير أن ملوكها وأمراءها رجعوا مصممين على الإستيلاء على هذه البلاد مهما طال الزمن وكثرت التكاليف ورأوا بعد الإخفاق في الإستيلاء عليها عسكرياً أن يتجهوا إلى دراسة شئونها وعقائدها ومصادر تشريعها تمهيداً لغزوها فكرياً .

ولما كان القرآن الكريم قد حفظه الله من التحريف والزيادة والنقصان حيث قال تعالى :

« إنّا نحنُ نزّلنا الذّكر وإنّا لهُ لحافِظُون » .

فإن تفكير أعداء الإسلام اتجه إلى السنة بالطعن والتشكيك وكانت النواة الأولى التي تولت القيام بهذه المهمة — ولا زالت — تتألف من رجال الدين المسيحي أو اليهودي الذين هم — ولا شك — أشد الناس كرهاً للإسلام وتعصباً عليه ولذلك كان من الطبيعي أن تتسم بحوث هؤلاء بالمظاهر الآتية :

١ — سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده .

٢ — سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم .

٣ — تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور وخاصة في العصر الأول بمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظماءه .

٤ — تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً دون الواقع بكثير تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها .

٥ — الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم .

٦ — إخضاع النصوص للفكرة وتحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً وتحكمهم في المصادر التي ينقلون منها كل ذلك انسياقاً مع الهوى وانحرافاً عن الحق (١) .

والمطلع على تاريخ الاستشراق تتضح له الحقائق التالية :

أولا : أن المستشرقين — في جمهورهم — لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً ، وقد يشذ عن ذلك أفراد .

ثانياً : أن الاستشراق في الدول الغربية غير الإستعمارية — كالدول السكندنافية — أضعف منه في الدول الإستعمارية .

---

١ ـ اقتباس من السنة ومكانتها ص ١٨٨

ثالثاً : ان المستشرقين المعاصرين في الدول غير الإستعمارية يتخلون عن جولد تسهير وآرائه بعد أن انكشفت أهدافه الخبيثة .

رابعاً : ان الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة ، وفي الدول الإستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب ، يلقى منهما كل تأييد .

خامساً : ان الدول الإستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه لسمعة المسلمين (١) .

---

١ ـ السنة ومكانتها ـ ص ١٦ ـ ١٧

(شبه المستشرقين حول السّنة)

انتقل بعد هذا إلى بيان موقف المستشرقين من السنة النبوية ومزاعمهم وشبههم التي أثاروها حولها ، ولعل أشد المستشرقين خطراً وأكثرهم خبثاً وإفساداً في هذا الميدان هو المستشرق اليهودي « جولد تسهير » (١) .

ويبدو أنه كان واسع الاطلاع على المراجع العربية حتّى عد شيخ المستشرقين في الجيل الماضي .

وقد نقل الأستاذ أحمد أمين بصورة غير رسمية كثيراً من آرائه عن تاريخ الحديث في فجر الإسلام وضحاه كما نقل لنا بصورة رسمية الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه (نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي) وقد تعرض لهما الدكتور السباعي بالنقد في كتابه (السنة ومكانتها) (٢) .

وفيما يلي عرض موجز وإشارة سريعة إلى بعض الإتجاهات العامة والخطوط الرئيسية في بحوثه :

١ – يقول الدكتور (علي حسن عبد القادر) في كتابه (٣) : (وهناك

---

١ ـ ولد سنة ١٨٥٠ م ودرس فى مدارس اللغات الشرقية ببرلين وليبزج دفينا ورحل الى سوريا سنة ١٨٧٣م وتتلمذ على الشيخ طاهر الجزائرى وتضلع فى العربية على شيوخ الازهر ، عرف بعدائه للاسلام وبخطورة كتاباته عنه ، ألف كتابا عن (الظاهرية ومذهبهم وتاريخهم) ثم دراسات اسلامية فى جزئين و (العقيدة والشريعة الاسلامية) وهو من محررى دائرة المعارف الاسلامية توفى سنة ١٩٢١م

٢ ـ وكذا الشيخ محمد الغزالى فى كتابه (دفاع عن العقيدة والشريعة) الذى استفدت واقتبست منه كثيرا

٣ ـ نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى ص ١٢٦

مسألة جد خطيرة نجد من الخير أن نعرض لها ببعض التفصيل ، وهي وضع الحديث في هذا العصر ، ولقد ساد إلى وقت قريب في أوساط المستشرقين الرأي القائل « بأن القسم الأكبر من الحديث ليس صحيحاً ما يقال من انه وثيقة للإسلام في عهده الأول عهد الطفولة ولكنه أثر من آثار جهود المسلمين في عصر النضوج » .

وأشار الدكتور إلى أن هذا الرأي هو لجولد تسهير :

هذا القول لا يستغرب من يهودي يسعى أن يقضي على الإسلام بأسره . ان المفسر لا يهمه إقامة الدليل على دعواه بقدر ما يهمه النفث بدسائسه كي تعمل عملها في الذين لم يتمكن الإسلام في قلوبهم .

ان القرآن الكريم والسنة الصحيحة تكذب هذه الدعوى ، قال تعالى :

« اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينكُمْ وأَتْمَمْتُ عليكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِينا » . (١)

فما معنى كمال الدين وتمامه إذا قيل : ان السنة لم تحفظ وانها نتيجة التطور وقال صلى الله عليه وسلم :

(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنّي) .

فما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد كان الإسلام ناضجاً متكاملا لا طفلا يافعاً كما يدعي هذا المستشرق .

ثم يقال له : انك تعلم أن المسلمين في مختلف بقاع الأرض التي وصلوا إليها وأهل تلك الديار الذين دخلوا في الإسلام كانوا يتعبدون عبادة واحدة ويقيمون أسس أسرهم وبيوتهم على أساس واحد ، وهكذا كانوا متحدين

---

١ ــ سورة المائدة : آية ٣

في العبادات والمعاملات والشعائر والعادات غالباً فلو كان الحديث أو القسم الأكبر منه نتيجة للتطور الديني – كما زعمت – للزم حتماً ألا تتحد عبادة المسلم في شمال افريقيا مع عبادة المسلم في جنوب آسيا ، ان البيئة في كل منهما مختلفة عن الأخرى تمام الإختلاف ، فكيف اتحدا في العبادة والتشريع والمعاملات والآداب ؟ وبينهما من البعد ما بينهما .

من هذا نرى أن زعمه هذا مبني على أساس من جرف هار فانهار من أول وهلة .

٢ – ثم حاول بعد ذلك أن يصور لنا أن الأمويين كانوا يضطهدون الدين وأصحابه ، وأن العلماء الأتقياء كانوا على خلاف مستمر معهم وأنهم وضعوا أحاديث . . وهو كاذب في كلا الأمرين ، فإن الروايات التي يمكن أن يعتمد عليها والأخبار التي يمكن أن يتعلق بها في قوله عن الأمويين – إذا تمعنت فيها ومحصتها تجدها كلها غير جديرة بالإهتمام حيث أنها كلها من آثار صنائع العباسيين والشيعة والروافض .

بل اننا نجد نصوصاً كثيرة تكذب ما رمى به هذا المستشرق خلفاء بني أمية ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اختار معاوية – رضي الله عنه لكتابة الوحي . ونسك عبد الملك وتقواه ودعاء الناس يلقبونه بحمامة المسجد ، ولما جاء الناس يبايعونه كان يتلو كتاب الله على مصباح ضئيل ، ولقد أنشئت أكثر المساجد المعروفة اليوم في عصر الوليد بن عبد الملك ، والتاريخ يذكر بكثير من الإعجاب فتوحات الأمويين ، ، وأما ما ادعاه من الخلاف المستمر بين العلماء الأتقياء والأمويين ففيه تمويه ، فالحق الذي لا مرية فيه أن العلماء الذين نهضوا لجمع الحديث وتدوينه لم يكن بينهم وبين الأمويين أي عداء إلا ما نقل من جفاء سعيد بن المسيب لعبد الملك لأنه أراد أخذ البيعة لابنه الوليد ثم لسليمان من بعده ، فأبى سعيد وقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى

عن بيعتين في وقت واحد ، فهذا هو سبب الجفاء ، ولا نعلم قبل هذه الحادثة جفاء بين سعيد وخلفاء بني أمية ، ووقع شيء من الجفاء بين الحجاج وبعض علماء عصره سببه اشتداد الحجاج في مقاومة خصوم الدولة الأموية . أما الذين قام العداء بينهم وبين الأمويين فهم الخوارج والعلويون وهؤلاء غير أولئك العلماء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل جمع الحديث وتدوينه ، فإن كان المستشرق يريد بالعلماء الأتقياء — أولئك الغلاة من الشيعة والخوارج فنعم — ولكنه يثير العجب حيث انه يطلق هذا اللقب على من كانوا أداة فساد وإفساد في أرض الله الطاهرة وتظاهراً بحب علي وآله — رضي الله عنه — ووضعوا أحاديث للوصول إلى غايتهم وهم يضمرون في نفوسهم المكر والكيد للإسلام وأهله (١) .

٣ — ثم يزعم (ولم يقتصر الأمر على هؤلاء فإن الحكومة نفسها لم تقف ساكنة إزاء ذلك ، فإذا أرادت أن تعمم رأياً أو تسكت هؤلاء الأتقياء، تذرعت أيضاً لوجهات نظرها ، فكانت تعمل ما يعمله خصومها ، فتضع الحديث أو تدعو إلى وضعه) (٢) .

وهذه دعوة جديدة لا وجود لها إلا في خيال كاتبها، فما روى لنا التاريخ أن الحكومة الأموية وضعت الأحاديث لتعمم بها رأياً من آرائها فنحن نسأله أين تلك الأحاديث التي وضعتها الحكومة، ولا نجد في حديث واحد من آلافها الكثيرة في سنده عبد الملك أو يزيدا أو الوليد أو أحد عمالهم كالحجاج ، فأين ضاع ذلك في زوايا التاريخ لو كان له وجود ؟ وإذا كانت الحكومة الأموية لم تضع بل دعت إلى الوضع فما الدليل على ذلك ؟

---

١ ـ انظر السنة ومكانتها (ص ١٩٧ ـ ١٩٨) ، رسالة حجية السنة لمحمد لقمان السلفى (ص ١١٠) .

٢ ـ نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامى ص ١٢٦ ـ ١٢٧

٤ - ثم يقول (انه لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي) (١) .

أهذا هو الدليل على أن الحكومة الأموية هي التي دعت إلى الوضع ؟ لماذا يكون وضع هذه الأحاديث في المسائل الخلافية من وضع المذاهب المختلفة سبب إلا الوضع ؟

لقد بيّن علماؤنا أسباب اختلاف الحديث فما كان مرجعه إلى الوضع بينوه ، وما كان مرجعه إلى غير ذلك بينوه أيضاً ، فالزعم بأن ذلك دليل على وضع الأحاديث المختلفة كلها زعم باطل وأشد منه بطلاناً أن يتخذ ذلك دليلا على تدخل الحكومة الأموية في الوضع ودعوتها إليه .

٥ - ثم يزعم (أنه استغل هؤلاء الأمويون الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع الأحاديث) .

وهذه مؤامرة مذمومة وجرأة شنيعة من هذا اليهودي المستشرق على أكبر إمام من أئمة السنة في عصره ، بل على أول مَن دوّن السنة من التابعين لنرى ما فيها من خبث ولؤم ودس وتحريف ؛ إنها لخطة مبيتة من هذا المستشرق أن يهاجم أركان السنة واحداً بعد واحد ، فلقد هاجم أكبر صحابي روى الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو هريرة - رضى الله عنه - حتى إذا فرغ من تهديم أبي هريرة - على زعمه - جاء هنا ليهدم ركن السنة في عصر التابعين ، ولكن الله غالب على أمره ولا بد للحق من هزيمة الباطل مهما آوى الباطل إلى ظل ظليل وركن متين .

والإمام الزهري لا يضره حقد الحاقدين فهو قطب السنة ويكفيه فخراً ما قال فيه الذهبي (هو أعلم الحفاظ الإمام الحافظ الحجة) . وقال مكحول

---

١ - نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى ص ١٢٦ وما بعدها

(ما بقي على ظهرها أعلم بسنة ماضيه من الزهري) . وقال عمر بن دينار (ما رأيت أنص وأبصر بالحديث من الزهري) .

وهكذا تواترت روايات الأئمة والحفاظ وعلماء الجرح والتعديل على توثيقه وأمانته وجلالة قدره ونبله في أعين المحدثين .

ولا نعلم أن أحداً اتهمه بأمانته وصدقه في الحديث قبل هذا المستشرق اليهودي المتعصب (جولد تسهير) .

٦ ــ ثم ادعى أنه اعترف اعترافاً خطيراً عندما قال (ان هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث) وأن ذلك يفهم منه استعداد الزهري لأن يلبي رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند الأمة الإسلامية .

وردنا على هذا الزعم المفترى هو :

أولا : أن هذا النص الذي نقله فيه تحريف متعمد يقلب المعنى رأساً على عقب .

ثانياً : أن الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس ، والظاهر أنه كان يفعل هذا ليعتمد الناس على ذاكرتهم ولا يتكلموا على الكتب ، فلما طلب منه هشام وأصر عليه أن يملي على ولده ليمتحن حفظه ، وأملى عليه أربعمائة حديث خرج من عند هشام وقال بأعلى صوته (يا أيها الناس إنا كنا منعناكم أمراً قد بذلناه الآن لهؤلاء ، وإن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث) فتعالوا أحدثكم بها فحدثهم بالأربعمائة الحديث . هذا هو النص الصحيح لقول الزهري) .

وانظر الفرق بين قول الزهري كما رواه المستشرق وكما رواه المؤرخون والمحدثون ثم انظر إلى هذه الأمانة العلمية حيث حذف (ال) من (الأحاديث) فقلبت الفضيلة رذيلة . .

٧ ــ ثم زعم (وقد شعر المسلمون في القرن الثاني بأن الاعتراف بصحة الأحاديث يجب أن يرجع إلى (الشكلي) فقط ، وأنه يوجد من الأحاديث

الجيدة الإسناد كثير من الأحاديث الموضوعة ، وساعدهم على هذا ما ورد من (الحديث) ، (سيكثر الحديث عني ، فمن حدثكم بحديث فطبقوه على كتاب الله فما وافقه فهو مني قلته أو لم أقله) . هذا هو المبدأ الذي حدث بعد قليل عند انتشار الوضع) .

في الحقيقة أن المستشرق افترى على علماء الإسلام في موضعين :

الأول : دعواه بأن الاعتراف بصحة الحديث شكلي فقط ، وأنه يوجد بين الأحاديث الجيدة الإسناد كثير من الأحاديث الموضوعة ، وهذا افتراء منه عليهم وهم لم يقوموا بهذا قطعاً وكيف يعترفون بهذا وإن كان صحيحاً فليخبرنا الكتاب الذي اعترفوا فيه ، وإنما الذي قالوه حين بحثوا مسألة العمل بخبر الواحد : هل يفيد القطع أو الظن ؟ فذهب الجمهور إلى أنه يفيد الظن لأنه وإن كان صحيحاً بحسب الشروط المقررة إلا أنه يحتمل ألا يكون صحيحاً (في الواقع) والذي دعاهم إلى هذا هو الاحتياط والتثبت في شرع الله ، فأين هذا مما ينقله عنهم هذا المستشرق ؟ .

والثاني : زعم أن المبدأ الذي حدث بعد قليل هو حديث : سيكثر التحديث عني . وهو كذب وافتراء محض لأن هذا الحديث نقده صيارفة الحديث ونقاده وحكموا بوضعه وكذبه .

والحقيقة أن هذا المستشرق من أقل الناس مروءة وحياء وأمانة في سبيل العلم ، فهو يخترع الأكذوبة ويتخيلها ويركب لها في نفسه هيكلا ثم يلتقط له من هنا ومن هناك ما يوهم أنه يؤيده فيما ادعى ولا يهمه أن يكذب في النصوص أو يحرفها أو يزيد فيها أو ينقص منها — حسب هواه — أو يغالط في الفهم أو يستدل بما ليس بدليل ويعرض عما يكون دليلا قاطعاً .

فهذا شأن قوم يزعمون التجرد وأنهم سلكوا المنهج العلمي الحديث إنا لله وإنا إليه راجعون .

٨ — يزعم (أن تعاليم القرآن تجد تكملتها واستمرارها في مجموعة من الأحاديث المتواترة — فهي وإن لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة تعتبر أساسية لتميز روح الإسلام)(١) .

أي أن الأحاديث المتواترة لم تصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم والطعن ليس في حديث ما أو في جملة أحاديث عليها اعتراض قوي أو ضعيف ، كلا ، إن الطعن في السنة كلها المتواتر منها والمشهور والصحيح .

٩ — ويزعم (أن هذه الأحاديث وغيرها من النصوص المماثلة لها والتي يسهل علينا جمعها لا تمثل وجهات نظر خاصة بطبقة سامية الاخلاق فحسب بل إنها لتعبر عن العاطفة العامة لفقهاء الإسلام)(٢) .

ومن أين أتى فقهاء الإسلام بهذه الأحاديث ؟ ومن أين تسربت إليهم هذه العواطف التي أنطقتهم بهذه الأحاديث ؟ إنهم أقل شأناً من أن ينفردوا بتأليفها ولذلك يقول : (لكن الإسلام خلال توسعه التالي وبفعل التأثيرات الأجنبية ترك مجالا لدقة العلماء المفتيين ولعلماء العقائد)(٣) .

إن الرجل يهرف بما لا يعرف وهو في حقده على الإسلام يهاجمه بعنف وعمى ولا يتخذ مكاناً يظن به الضعف ثم يهجم بل ينطح برأسه كل شيء دون تفريق وهيهات أن يصدع إلا رأسه :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها . . فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل .

(السنة كلها من صنع الناس حتى المتواتر منها) :

عفاء على التاريخ والعلم كله إذا كانت قيم الحقائق تتناول بهذا الأسلوب الفوضوي ، ولكن الرجل يريد إفهام قومه ان الإسلام من صنع محمد وقومه .

---

١ — دفاع عن العقيدة والشريعة لمحمد الغزالى ص ٦٢
٢ — دفاع عن العقيدة والشريعة لمحمد الغزالى ص ٦٣
٣ — دفاع عن العقيدة والشريعة (ص ٧٣)

١٠ – ثم يزعم وهو يقدم مفهوم النسخ في الإسلام (إن الرسول كان يتطور مع الزمن وكان يصطنع وحياً جديداً – ينسخ به الوحي القديم كلما لاحت ضرورة) (١) الرسول يصطنع وحياً جديداً كلما لاحت ضرورة ، إتهام حتى على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

١١ – ثم يقول (إن المسلمين – لما فتحوا هذه البلاد وحكموها بما فيها من تقاليد وقوانين بعد أن طوروا هذه التقاليد والقوانين ، وأضفوا عليها من عندهم صبغة دينية ثم جعلوها أحاديث شريفة ونسبوها إلى نبيهم) هذا هو التطور الفقهي في نظره .

قد يجيز العقل أن يستدين فقير من غني وأن يستعين ضعيف بقوى غير أن العقل يحكم باستحالة التلاقي والاستعداد يوم يكون التكافؤ معدوماً بين الطرفين ، فمن الحماقة أن يقال أن (أرسطو) أخذ أفكاره من أحد الخبازين في أفران أثينا أو من أحد الخبازين في حاناتها ، ومن الحماقة أن يقال أن (فورد) أخذ ثروته من متسول في إحدى كنائس أمريكا .

ومن الحماقة أن يقال أن (محمدا صلى‌الله عليه وسلم) ألف قرآنه بمعونة أحد الخواجات النازحين إلى مكة يطلبون الرزق .

إن هذا البيان الساحر بفحواه ، القاهر بمعناه يعجز الأئمة العرب عن إتيان بآية مثله ، فكيف بنازح أعجمي (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر)(٢) (٣) .

هذه بعض مزاعمه ومفترياته وأكاذيبه وقد ذكرنا بعضها وفندناها ولا تكفي هذه العجالة أن تستوفي لجميع مزاعمه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

---

١ – دفاع عن العقيدة والشريعة (ص ٧٣)
٢ – سورة النحل الآية (١٠٣)
٣ – اقتباس من (دفاع عن العقيدة والشريعة)

هذا وإن المستشرقين – بمجموعهم – يجتمعون مع جولد تسهير في آرائه وأفكاره فهذا سير نجر . مثلا يقول : (إن أحاديث نبوية كثيرة زائفة وملفقة) .

ويقول موير ووبل ودوزي (إن نصف الأحاديث المدونة في صحيح البخاري ليست أصيلة وغير موثوق بها) .

ويقول شاخت (إن أسانيد الحديث النبوي عملية ملفقة) ولهذا اكتفيت بتفنيد آراء جولد تسهير وحده .

الفصل الثانى

(السّنة والدكتور توفيق صدقى *)

نشر الدكتور – توفيق صدقي – مقالين في مجلة « المنار »(١) تحت عنوان (الإسلام هو القرآن وحده) وأتى من الفلسفة العجيبة وقرر هدم دعامة من دعائم الدين وادعى اكتفاء الاستنباط من القرآن الكريم وحده وزعم أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وأنها لو كانت عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها ولتسابقوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مثبط لهم .

ويزعم (أن عدم كتابة شيء من الأحاديث إلابعد عهده – صلى الله عليه وسلم – بمدة كاف في حصول التلاعب والفساد الذي حصل) (٢) .

قلنا : إن عدم كتابة شيء من الحديث في عهده – صلى الله عليه وسلم – لا يفيد التلاعب والفساد – كما زعم – بل ربما كان عدم الكتابة مما يبالغ في النفس في تأكيد صحة أسانيد السنة إذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة وبأسانيد مختلفة مع حفظ متنه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد .

هذا إذا سلمنا هذا الدعوى فكيف وقد ثبت ما يفيد كتابة الأحاديث في عهده صلى الله عليه وسلم وأنه إذن في ذلك ، كما سيأتي :

---

* طبيب مصرى ليس من أهل الاختصاص بالعلوم الشرعية توفى عام ١٩٢٠م

١ – فى العدد ين (٧ ، ١٢) من السنة التاسعة

٢ – مجلة المنار (٧٠٣/٩)

من ذلك ماروواه أحمد(١) عن عمرو بن شعيب عن جده قال قلنا يارسول الله (إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها قال بلى فاكتبوها) .

وعن أبيه عن جده أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب ما يسمع من حديثه فأذن له(٢) .

وقد صح عن أبي هريرة قوله (مامن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أكثر مني حديثاً عنه إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه كان يكتب ولا أكتب)(٣) .

يقول (عدم إرادة النبي صلى الله عليه وسلم لأن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ») .

ولو كان غير القرآن ضرورياً في الدين لأمر النبي — صلى الله عليه وسلم — بتقييده كتابة ولتكفل الله بحفظه ولما جاز لأحد روايته على حسب ما أداه إليه فهمه(٤) .

قلنا هذه الدعوي غير مسلمة — ولوسلمناها جدلا لما انتجت النتيجة — التي يريدها — وهي أنه لم يرد أن يبلغ عنه شيء أصلا سوى القرآن . لأن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل كثيراً من الرسل إلى الجهات المختلفة ولم يثبت أنه كان يقتطع لهم من صحف الكتاب ما يكون الحجة في دعوتهم إلى الإسلام .

---

١ — مسند أحمد (٢/٢١٥)

٢ — تقييد العلم ص ٧٥

٣ — رواه البخاري (١/٢٠٦) الدارمي (١/١٢٥) ومسند احمد (٢/٢٤٨)

٤ — مجلة المنار (٩/٢٠٣)

على أن أصل وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم إنما هي التبليغ « **فإنما عليك البلاغ** » (١) وقد قال « ألا فليبلغ الشاهد الغائب » وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرآناً كان أو سنة وقد قال تخصيصاً لهذه (عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين) .

قال الدكتور السباعي (وقصاري القول أن إنكار حجية السنة والإدعاء بأن الإسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفة وهو يصادم الواقع فإن أحكام الشريعة ثبت أكثرها بالسنة وما في القرآن من أحكام إنما هي مجملة وقواعد كلية في الغالب وإلا فأين نجد في القرآن أن الصلوات خمسة وأين نجد ركعات الصلاة ومقادير الزكاة وتفاصيل شعائر الحج وسائر أحكام المعاملات والعبادات)(٢) .

وقال ابن حزم رحمه الله (ونسأل قائل هذا القول الفاسد في أي قرآن وجد أن الظهر أربع ركعات وأن المغرب ثلاث ركعات وأن الركوع على صفة كذا والسجود على صفة كذا وصفة القراءة والسلام وبيان ما يجتنب في الصوم وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة والغنم والإبل والبقر . . وأحكام الحدود وصفة وقوع الطلاق وأحكام البيوع والربا والأقضية والتداعي والايمان والأحباس والعمري والصدقات وسائر أنواع الفقه ، وإنما في القرآن جمل لو تركنا وإياها لم ندر كيف نعمل فيها وإنما المرجوع إليه في ذلك النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الإجماع انما هو على مسائل يسيرة فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة ، ولو أن امرءاً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة ولكان لا يلزمه إلاركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل وأخرى عند الفجر لأن ذلك هو

---

١ ــ سورة الرعد الآية ٤٠

٢ ــ السنة ومكانتها ص ١٦٥

أقل ما يقع عليه اسم صلاة ولا حد لأكثر من ذلك ، وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال وإنما ذهب إلى هذا بعض غالبية الرافضة ممن قد اجتمعت الأمة على كفرهم)(١) .

وأما قوله (ولو كان غير القرآن ضرورياً في الدين لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتقييده كتابة ولتكفل الله بحفظه ولما جاز لأحد روايته على حسب ما أداه إليه فهمه)(٢) .

فقد ذكرنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابته وإذنه بذلك وأنه قد تكفل بحفظه ولم يجوز لأحد روايته على حسب ما أداه إليه فهمه وسيأتي مزيد إيضاحه في باب (اعتراضات منكري السنة) .

هذا وقد ذكر الدكتور السباعي أن الدكتور توفيق صدقي قد رجع عن آرائه في آخر عمره .

---

١ ــ الاحكام لابن حزم (٢/٧٩ــ٨٠)

٢ ــ وقد رد على مزاعمه هذه وغيرها كل من الاساتذة الشيخ طـه البشرى والسيد رشيد رضا والدكتور مصطفى السباعى ٠

الفصل الثالث

(السّنة والاستاذ أحمد أمين *)

من المؤسف حقاً أن ينخدع ببحوث المستشرقين وخاصاً جولد تسهير — فريق من الكتاب المسلمين المعاصرين الذين تتلمذوا على المستشرقين وهو هجوم لا يبدو واضحاً كما بدت آراء المستشرقين من قبل ، بل مقنعاً بستار العلم والبحث والتحقيق العلمي . وكان من أشهر الكتاب الذين سلكوا هذا المسلك الأستاذ أحمد أمين في كتابيه فجر الإسلام وضحاه حين تعرض للكتابة عن الحديث وتدوينه فمزج السم بالدسم وخلط الحق بالباطل وهو في الحقيقة ردد لما كتبه — جولد تسهير — إلا أنه كان لبقا وأشد تحرزاً حيث أنه بث السموم في أسلوب هادئ وحاول أن يصل إلى غايته من غير أن يثير ثائرة الجمهور عليه .

وأفرد الأستاذ في كتابه « فجر الإسلام » فصلا خاصاً بالحديث حاول فيه أن يؤرخ السنة وتدوينها فبين معنى السنة وقيمتها التشريعية ، ثم ذكر أن السنة لم تدون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بل كان بعض الصحابة يكتبون لأنفسهمفقط . ثم تعرض للوضع في الحديث واستظهر أن الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم بدأ في وقت مبكر وأشار إلى أن دخول

---

* كاتب واديب معروف خريج القضاء الشرعى وعميد كلية الآداب سابقا ومؤلف فجر الاسلام وضحاه وظهره . الا انه كان من دهائه ولباقته يدس السم فى الدسم فى كتاباته ضد الاسلام والسنة النبوية مسايرة لاهواء سادته المستشرقين المغرضين الحاقدين على الاسلام والمسلمين انظر السنة ومكانتها ص ٢٣٦ ومابعدها .

الشعوب في الإسلام كانله أثر كبير فيالوضع الذي بلغ فيالكثرة بعد أناختار الإمامالبخاري صحيحه من ستمائة ألفحديث كانت شائعة في عصره . ثم ذكر أهم الأمور التي حملت على الوضع وذكر منها تغالي الناس في إعراضهم عن العلم إلا ما اتصل بالكتاب والسنة اتصالا وثيقاً ، وانتهى من ذلك إلى بيان جهود العلماء في مكافحة الوضع وذكر ما يؤخذ عليهم من أنهم لم يعنوا بنقد المتن عشر ما عنوا بنقد السند ثم تكلم عن أبي هريرة فقال إنه لم يكن يكتب بل كان يحدث من ذاكرته وأن بعض الصحابة شكوا في حديثه وبالغوا في نقده ثم ختم هذا الفصل بالأدوار التي مر بها تدوين السنة حتى عصر البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب الستة . هذا خلاصة ما كتبه الأستاذ عن السنة .

وتعرضت لبعض آرائه بالنقد فى أماكن مختلفة من بحثى هــذا واضيف عــلى البعض ما يلى :

يقول الأستاذ متكلماً عننشأة الوضع (ويظهر أن هذا الوضع حدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فحديث (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)(١) يغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة زور فيها على الرسول (٢) (صلى الله عليه وسلم) .

وهذا الذي زعمه الأستاذ لا سند له في التاريخ الثابت ولا في سبب الحديث المذكور . أما التاريخ فلم يحدثنا أن أحداً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ممن أسلم وصحبه زوّر عليه كلاماً ورواه على أنه حديثه عليه السلام ولو وقع مثل هذا لتوفر الصحابة على نقله لشناعته وفظاعته ، كيف وقد كان حرصهم شديداً على أن ينقلوا لنا كل ما يتصل به صلى الله عليه وسلم حتى ما يتعلق بحياته العادية .

---

١ ــ سيأتى تخريجه فى ص ١٦٩

٢ ــ فجر الاسلام ص ٢٥٨

« وأما الحديث المذكور فقد اتفقت كتب السنة المعتمدة على أن الرسول إنما قاله حين أمرهم بتبليغ حديثه إلى من بعدهم فقد أخرج البخاري في باب ما ذكر عن بني إسرائيل من طريق عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) ورواه مسلم من طريق أبي سعيد . . وظاهر من هذه الرواية أن النبي صلى الله عليه وسلم وقد علم أن الإسلام سينتشر وسيدخل فيه أقوام من أجناس مختلفة ، نبه بصورة قاطعة على وجوب التحري في الحديث عنه وتجنب الكذب عليه بما لم يقله ووجه الخطاب في ذلك إلى صحابته لأنهم هم المبلغون إلى أمته من بعده وهم شهداء نبوته ورسالته وليس في هذه الرواية وغيرها إشارة قط إلى أن هذا الحديث إنما قيل لوقوع تزوير على النبي صلى الله عليه وسلم(١) .

وقد ذكر السباعي أسباباً غير ما ذكرته الرواية السابقة(٢) وقال في ص ٥٢٩ (وحسبك دليلا على مقدار الوضع أن أحاديث التفسير التي ذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال : لم يصح عنده منها شيء ، قد جمع فيها آلاف الأحاديث ، وإن البخاري وكتابه يشتمل على سبعة آلاف حديث منها نحو ثلاث آلاف مكررة قالوا إنه اختارها وصحت عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره) .

إن كثرة الوضع في الحديث لا ينكره أحد ولكن المؤلف أراد أن يستدل على مقدار الوضع بأحاديث التفسير وأحاديث البخاري وظاهر كلامه أنه يشكك في أحاديث التفسير كلها إذ ينقل عن الإمام أحمد أنه قال لم يصح منها شيء . والإمام أحمد لا تخفى مكانته في السنة فإذا قال في أحاديث التفسير :

---

١ ــ اقتباس من السنة ومكانتها ص ٢٣٨ ، ٢٣٩
٢ ــ اقتباس من السنة ومكانتها ص ٢٤٠ ــ ٢٤١

لم يصح منها شيء كان كل ما روى فيها مشكوكاً بصحته إن لم يحكم عليه بالوضع هذا نتيجة منطقية لظاهر كلام الأستاذ .

أما أحاديث التفسير فلا يخفى على كل من طالع كتب السنة أنها أثبتت شيئاً كثيراً منها بطرق صحيحة لا غبار عليها وما من كتاب في السنة إلا وقد أفرد فيه مؤلفه باباً خاصاً لما ورد في التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين .

وأما ما نقله الأستاذ عن الإمام أحمد في أحاديث التفسير فهو يشير إلى ما روى من قوله (ثلاثة ليس لها أصل التفسير ، والملاحم والمغازي) والكلام عن هذه العبارة من وجوه .

أولا : إن في النفس من صحتها شيئاً لأن الإمام أحمد نفسه قد ذكر في مسنده أحاديث كثيرة في التفسير ، فكيف يعقل أن يخرج هذه الأحاديث ويثبتها عن شيوخه في مسنده ثم يحكم بأنه لم يصح في التفسير شيء

ثانياً : إن نفي الصحة لا يستلزم الوضع أو الضعف ، وقد عرف عن الإمام أحمد خاصة نفي الصحة عن أحاديث وهي مقبولة . وقالوا في تأويل ذلك أن هذا اصطلاح خاص به(١) .

ثالثاً : الإمام لم يقل : إنه لم يصح في التفسير شيء وإنما قال ثلاثة ليس لها أصل ، والظاهر أن مراده نفي كتب خاصة بهذه العلوم الثلاثة بدليل ما جاء في الرواية الثانية مصرحاً به (ثلاثة كتب) و هذا المعنى هو ما فهمه الخطيب البغدادي حيث قال : إن هذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة . .(٢) .

---

١ ـ انظر الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل للكهنوى ـ بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص ٨٦

٢ ـ اقتباس من السنة ومكانتها ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ وانظر مابعدها

وأما زعمه أن البخاري قد انتقى أحاديث صحيحة من ستمائة ألف حديث فسيأتي الحديث عنه في باب (اعتراضات منكري السنة) .

وعندما تعرض المؤلف لعدالة الصحابة قال :(١) (وأكثر هؤلاء النقاد عدلوا الصحابة كلهم إجمالا وتفصيلا ، فلم يتعرضوا لأحد منهم بسوء ولم ينسبوا لأحد منهم كذباً وقليل منهم من أجرى على الصحابة ما أجرى على غيرهم) .

إن مما اتفق عليه الجماهير قاطبة من أهل السنة والجماعة ونقاد الحديث تعديل الصحابة وتنزيههم عن الكذب والوضع وشذ عن ذلك الخوارج والمعتزلة والشيعة أصحاب الأهواء والميول المعروفة .

ولكن المؤلف – لغرض في نفسه – يشككنا في هذه الحقيقة فادعى أولا أن أكثر النقاد عدلوا الصحابة مع أن النقاد جميعاً عدلوهم وعدالتهم محل إجماع بينهم ثم يزعم أن قليلا منهم أجرى على الصحابة ما أجرى على غيرهم مع أن الذين تكلموا في الصحابة ليسوا من نقاد الحديث بل هم أصحاب الأهواء والميول المعروفة بالتعصب لبعض الصحابة على بعض الآخر .

قال الحافظ الذهبي (فأما الصحابة رضي الله عنهم فبساطهم مطوى وإن جرى ما جرى . . إذ عدالتهم وقبول ما نقلوه العمل ، وبه ندين الله تعالى)(٢) .

وقال الحافظ ابن كثير (والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، ثم قال وقول المعتزلة : الصحابة عدول إلا من قاتل علياً قول باطل مردود)(١).

وهكذا ذهبت مزاعم الأستاذ هباء وصان الله صحابة رسوله عليه السلام من تلك الحملات التشكيكية التضليلية التي رفع لواءها هؤلاء المتعصبون

---

١ – ص ٢٦٥

٢ – السنة ومكانتها ص ٢٦١

أما مزاعمه في أبي هريرة فقد تناولناها بالرد في باب (اعتراضات منكري السنة) .

ثم نشر إسماعيل أدهم رسالته في سنة ١٣٥٣ هـ عن تاريخ السنة وكذب فيها أحاديث الكتب الصحاح (١) إلا أن أخطر من قام بهذا الدور في العصر الحديث هو محمود أبو رية .

فإلى الحديث مع « محمود أبورية » .

---

١ ـ انظر دراسات فى الحديث النبوى ص ٢٧

الفصل الرابع

(السّنة ومحمود أبى رية *)

ثم بعد هؤلاء تسلم اللواء أبو رية وأخرج كتابه (أضواء على السنة المحمدية) وهو لم يأت بفكرة جديدة ولا باستدلال جديد بل جمع ما كان من الشبه متناثراً في كتب الشيعة وأئمة الاعتزال والمتكلمين والمستشرقين مع حكايات تذكر في كتب الأدب التي يتفكه بها الناس في مجالسهم وأيم الله أنني قرأت فيه مجرداً من كل عاطفة فوجدت أنه لم يقل شيئاً لم يكن عند أسلافه وإنما الذي فاقهم فيه أنه أكثر خبثاً ودناءة وأسوأ أدباً مع الصحابة الأمناء وأجرأ على الكذب والبهت والخيانات العلمية .

« وأما ما ذكره خلال كتابه من نقول عن مصادر محترمة في الأوساط العلمية الإسلامية ككتب التفسير والفقه والسنة فإنها لا تعدو أن تكون وردت في تلك المصادر في مورد غير الذي أورده المؤلف فوضعها في غير مواضعها وأن تكون هي في حد ذاتها حقائق مسلمة لدى المحققين ولكنهم لا يقصدون منها ما قصده المؤلف فذكرها إيهاماً للقاريء بأن أصحابها يلتقون معه في في فكرته وأهوائه أو أن تكون نصوصاً (مبتورة) انتزع منها ما يرد على المؤلف ولم يذكر منها إلا ما يريد أن يثبته في البحث الذي يتناوله أو أن تكون من أقوال بعض العلماء نقلا عن المعتزلة فينسبها إلى هؤلاء العلماء أنفسهم كما فعل فيما نقل عن ابن قتيبة وعلى الجملة فإن أصحاب هذه المؤلفات والنصوص التي نسبها إليهم لا يلتقون معه في آرائه ونزعاته »(1) .

* كاتب مصرى معاصر عرف بشدة انحرافه عن السنة والطعن فيها باسم حرية الرأى والتحقيق العلمى – على زعمه – توفى قريبا .

1 – السنة ومكانتها ص ٤ ، ٥

وأما تعريف كلمة السنة عنده فيقول : « ولم تكن السنة يومئذ (يعني عصر النبي صلى الله عليه وسلم) تعرف إلا بالسنة العملية »(١) .

ومفهوم السنة العملية عنده هو السنة العملية المتواترة كما قال : (وسنن الرسول المتواترة ــ وهي السنة العملية ــ وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول وكان معلوماً عندهم بالضرورة ، كل ذلك لا يسع أحد جحده أو رفضه بتأويل أو اجتهاد ككون الصلاة المعروفة خمساً . . إلى أن قال (هذه هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأما إطلاقها على ما يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث)(٢) .

وأما بالنسبة لأحاديث الآحاد فيقول (ومن صح عنده شيء منها رواية ودلالة عمل به ، ولا تجعل تشريعاً عاماً تلزمه الأمة إلزاماً تقليداً لمن أخذ به) (٣) ويقول (٤) (إنهم جعلوا السنة القولية في الدرجة الثانية أو في الدرجة الثالثة من الدين وإنها تلي القرآن في المرتبة) ثم قال بعد أسطر (وأما الذي هو في الدرجة الثانية من الدين فهو السنة العملية) ومفهومه أن السنة القولية ليست في الدرجة الثانية ، ولا ندري ما منشأ هذا الاضطراب وعدم الثبوت على رأي حتى خالف عجز كلامه صدره ثم ما الدليل على التفرقة بين السنة القولية والفعلية « وليس في كلام الشاطبي الذي استشهد به ما يشهد للتفرقة بين السنة القولية والفعلية بل كلام يدل على أن المراد بالسنة القول والفعل والتقرير »(٥) .

ومعلوم أن السنة جملة في المرتبة الثانية بعد الكتاب وأن ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الدين يجب اتباعه وطاعته فيه إذا فما الفائدة

---

١ ــ أضواء على السنة المحمدية ص ٤٠٤

٢ ــ أضواء على السنة المحمدية ص ٤٠٦ ، ٤٠٧

٣ ــ أضواء على السنة المحمدية ص ٤٠٧

٤ ــ أضواء على السنة المحمدية ص ١٧

٥ ــ دفاع عن السنة للشيخ أبي شهبة ص ٥٥

من هذه التفرقة وما الدليل عليها وما الدليل على عدم جعل الأحاديث الآحاد تشريعاً، إنه يدعوا إلى الفوضى في العقيدة والشريعة وإلى المخالفة الصريحة لكتاب الله عز وجل .

ويدعي أن الذين عنوا بالتشريع من أئمة الإسلام لم يكونوا أهلا لتمحيص السنة وبيان صحيحها وسقيمها وأن الأدباء وعلماء الكلام من المعتزلة هم أهل لذلك يقول بعد التعريف بكتابه وذكر علو قدر الحديث النبوي : (وعلى أنه بهذه المكانة الجليلة والمنزلة الرفيعة فإن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس وتركوا أمره لمن يسمون رجال الحديث يتناولونه فيما بينهم ويدرسونه على طريقتهم . .)(١) يريد أن أئمة الإسلام وفقهائه كالبخاري ومسلم والنسائي وغيرهم لم يكونوا أهلا لتمحيص السنة لأنهم لم يكونوا يخوضون في غوامض العقول فهم ليسوا عنده بعلماء وإن الأدباء وعلماء الكلام من المعتزلة هم أهل ذلك .

إنه يحاول الازدراء بالمحدثين ورميهم بالجمود ليقلل من شأنهم ويتجاهل أن ما وضعه المحدثون من قواعد لنقد الراوي والمروي هي أدق وأرق ما وصل إليه علم النقد في الحديث والقديم .

« إن علماء الأدب وأضرابهم ممن ليسوا من رجال الحديث وصيارفته أكرم على أنفسهم من أن يقفوا ما ليس لهم به علم وأن يزجوا بأنفسهم في علوم ومعارف ليسوا أهلا لها »(٢) .

والحقيقة أن من أمعن النظر في كتابه هذا يدرك أن الرجل غير موثوق فيما ينقل فكثيراً ما يزيد في النص الذي ينقله كلمة أو ينقص كلمة لينسجم

---

١ ـ اضواء على السنة المحمدية ص ٤
٢ ـ دفاع عن السنة ـ للدكتور أبي شهبة ص ٤٦

مع ما يريد دون ما يريد صاحبه وكثيراً ما يسند القول إلى غير صاحبه تمويهاً وتضليلا .

فنقل عن ابن كثير في البداية والنهاية(١) أن عمر رضي الله عنه قال لكعب الأحبار (لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض القردة) .

وعبارة ابن كثير : لتتركن الحديث (عن الأول) وليس فيها (عن رسول الله) ولكن أمانة أبي رية و (تحقيقه العلمي) أجازا له تحريف هذا النص ليثبت ما ادعاه من أن كعباً كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الصحابة كانوا يأخذون عنه الحديث ، وهذه الفرية دسها المستشرقون اليهود أمثال (جولد تسهير) ليدعوا تأثير اليهودية في الدين الإسلامي . . فتلقفها منهم (المحقق العلمي) أبو رية وتبرع لهم بإثبات الأدلة عن طريق التزوير)(٢) .

إنه لم يتحل بالأدب والخلق الشريف في بحثه فقد أتى بالألفاظ البذيئة والكلمات النابية التي يترفع عنها المؤلفون العاديون فضلا عن المحققين المنصفين وجعل من نفسه (العلامة المحقق الأمين) فتهكم بالمحدثين ورماهم بالجهل والتساهل فعندما عرض للحن والخطأ في الحديث والتقديم والتأخير والزيادة والنقص منه ص ٧٥–٧٩ ثم ذكر عنواناً بالخط العريض « تساهلهم – أي المحدثين – فيما يروى في الفضائل وضرر ذلك » وهو يوهم من لا يعلم أن المحدثين جميعاً على هذا – مع أن كثيراً من الأئمة كالبخاري ومسلم وابن خزيمة قد جردوا كتبهم للصحاح وتحروا غاية التحري في ذكر أحاديث الفضائل وأيضاً فالمحدثون لم يأخذوا بالأحاديث الضعيفة في باب الفضائل إلا بشروط فصلها أهل الفن والتحقيق ، فإرسال القول على عواهنه – كما

---

١ – (٢٠٦/٨)

٢ – السنة ومكانتها ص ٣٦٤

صنع المؤلف – ليس من الأمانة العلمية في عرض الآراء وهو إلى التدليس والتلبيس أقرب منه إلى التوضيح والتبيين(١) .

وأما أبو هريرة فقد ترجم له في كتابه فيما يربو على خمسين صفحة ولم يدع منقصة ولا مذمة إلا ألصقها به وزعم « أن الصحابة والتابعين و فقهاء الإسلام وأئمة الحديث ثلاثة عشر قرناً كاملة خدعوا بأبي هريرة ولم يفطنوا إلى (تفاهة أمره) و (حقارة منبته) وجرأته على الكذب إرضاء للأمويين ، انهم لم يفطنوا لما فطن إليه « أبي رية » الصائب وبصيرته النافذة خلال هذه القرون كلها » (٢) .

وإليك أمثلة من إسفافه وهذيانه على أبي هريرة :

قال في ص (١٥٢) « وكان من بينهم – أي الصحابة – لا في العير ولا في النفير » .

وقال في ص (١٥٧) بعد نقله شيئاً من سيرة أبي هريرة رضي الله عنه عن محقق (مثله) يظهر من هذه الحكايات وغيرها أنه كان ممن حضر وقعة صفين وأنه كان يصانع الفئتين – ثم قال : وحدث غير واحد أن أبا هريرة كان في بعض الأيام يصلي في جماعة علي ويأكل في جماعة معاوية ، فإذا حمي الوطيس لحق بالجبل ، فإذا سأل قال : علي أعلم ومعاوية أوسم والجبل أسلم » .

وقال في ص (١٨٥) « ومن كان هذا شأنه – لا يكون – لا جرم – إلا مهيناً لا شأن له ولا خطر » .

نعم هكذا يهذي ويفتري ويجمع من الحكايات والأكاذيب ولا سيما في موضوع فيه اتهام وتجريح لصحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه

---

١ – دفاع عن السنة ص ٧٣
٢ – السنة ومكانتها ص ٣١

وسلم وأنه لا في العير ولا في النفير ، ثم من قال لك أيها المحقق النظار وصاحبك الذي زعمت أنه محقق ، و ، وأن أبا هريرة شهد موقعة صفين ، حكاية باطلة تبني عليها هذا الحكم الظالم الأليم .

ثم هل من المعقول أن أبا هريرة كان ينتقل بين الجماعتين ويصانع الفئتين ولا ينكشف أمره ، يا أيها الناس أليس لكم عقول تعقلون بها ؟

ثم كان أبو هريرة مهيناً لا شأن له ولا خطر عند المؤلف لأنه لم يصاحب النبي صلى الله عليه وسلم إلا على ملء بطنه وأنه قد اتخذ من الصفة ملاذاً لفقره . . وهذا أكبر عيب عند « أبي رية » يجرح به أبا هريرة والله تعالى مدح أهل الصفة ومنهم — لا شك — أبو هريرة . قال سبحانه :

« للْفُقراء الّذينَ أُحصرُوا في سَبيلِ اللهِ لايستَطيعُونَ ضَرْباً في الأرضِ يَحسَبُهُم الجاهِلُ أغنْياء مِنَ التّعَفُّفِ تعْرفهُم بِسيماهُم لا يسْألُونَ النّاسَ إلحافا » (١) .

فيأتي أبو رية فيجعل المفاخر مثالب والفضائل رذائل . .

فهل رأيت في باب النقد والبحث والتحقيق العلمي والأمانة العلمية شبيهاً لهذا ، وفي أي قانون أو عرف أو دين يكون السباب نقداً والشتائم بحثاً وتحريف الحقائق وتغييرها تحقيقاً علمياً إلا في عرف وقانون أبي رية .

وقال في ص (١٦٦) تحت عنوان أول راوية اتهم في الإسلام « أن أبا هريرة اتهمه الصحابة وأنكروا عليه وكانت عائشة أشدهم إنكارا عليه لتطاول الأيام بها وبه . . وأن ممن اتهم أبا هريرة بالكذب عمر وعثمان وعلي . ثم زعم أن علياً كان سيء القول فيه وقال عنه : ألا أنه أكذب الناس أو قال أكذب الأحياء على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأبو هريرة » . . الخ . .

---

١ — البقرة — ٢٧٣

ثم تصيد من كلام النظام وغيره من ساداته ما زعم أنه يشهد له .

والحقيقة أن الصحابة كانوا يروون عنه صلى الله عليه وسلم بالذات كما كانوا يروون عنه بالوساطة عن صحابي آخر ، وفي بعض الأحيان كان يراجع بعضهم بعضاً فيما يرويه ، إما للتثبت والتأكد لأن الإنسان ينسى أو يغلط وإما لأنه ثبت عنده ما يخالفه أو ما يخصصه أو يقيده ، فليس من الإنصاف أن نتخذ من هذه المراجعة دليلا على اتهام الصحابة بعضهم لبعض وتكذيب بعضهم لبعض .

وكل ما ذكره من تكذيب عمر وعثمان وعلي له وأن علياً كان سيء القول فيه لا يعدو أن يكون دعاوى كاذبة مزورة ، وهذه كتب الثقات في تاريخ الصحابة وحياتهم لا تكاد تجد فيها شيئاً مما زعم وادعى .

« وهذه دعاوى كاذبة يطنطن بها المستشرقون ومن تابعهم مثله من الكتاب المعاصرين الذين جعلوا من أنفسهم أبواقاً لترديد كلامهم » (١) .

وهو في الحقيقة لا يرمي إلى اتهام أبي هريرة أو غيره من الصحابة ، بل انه يتخذ من اتهامهم سبيلا إلى بطلان السنة . فإذا تحقق له تهديم أبي هريرة وغيره فقد تحقق له هدم السنة وبطلانها .

« جاء في تاريخ بغداد أن هارون الرشيد لما أراد ضرب رأس (شاكر) رأس الزنادقة في عصره ــ سأله عن سبب اتخاذ الزنادقة لخطتهم في ابتدائهم مع من يطمعون بتزندقه بتعليم كراهية بعض سادات الصحابة ، فقال شاكر : (انا نريد الطعن على الناقلة ، فإذا بطلت الناقلة أوشك أن نبطل المنقول) (٢) .

---

١ ــ اقتباس من كلام الشيخ أبى شهبة فى كتابه دفاع عن السـنة ص ١٣١

٢ ــ دفاع عن أبى هريرة للشيخ عبد المنعم صالح العزى ص ٨

وهكذا صنع أبو رية وغيره ممن قاموا بحملات التشكيك والطعن في الصحابة إلا أن أبا رية كان له الحظ الأوفر منها .

وقد أطرى كتابه بقوله (وهذه الدراسة الجامعة الّتي قامت على قواعد التحقيق العلمي ؟ هي الأولى في موضوعها لم ينسج أحد قبلي على منوالها) .

نعم لقد صدق وهي الأولى في موضوعها وأسلوبها خلطاً وكذباً وتجنياً ولم ينسج أحد من قبل على منوالها .

« ولا أدري إن كان من قواعد التحقيق العلمي الّتي لم ينسج أحد من قبل على منوالها أن يكون مدعي العلم قليل الأدب بذي الكلام شنيع التهجم على من يتصدى لتاريخهم أو على من قد يتصدون للرد عليه في المستقبل ، ولكن الذي أدريه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار) .

ولا أدري إن كان (أبو رية) يطعن في هذا الحديث لأنه مما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، فإليه حديثاً آخر يرويه زيد بن طلحة بن ركانة عن النبي صلى الله عليه وسلم :

(ان لكل دين خـُلـُق ، وخلق الإسلام الحياء) .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وسوف ينال أبو رية جزاء فعله ما يستحق عند الله يوم القيامة (٢) .

---

١ ـ السنة ومكانتها ص ٤٣ ، ٤٤ .

٢ ـ صدر فى الرد على أبى رية كتب منها (ظلمات أبى رية امـــام أضواء السنة المحمدية) للشيخ محمد عبدالرزاق حمزة و(الانوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء السنة من الزلل والتضليل والمجازفة) للشيخ عبد الرحمن المعلمى والدكتور مصطفى السباعى فى كتابه الرائع (السنة ومكانتها فــى التشريع الاسلامى) ودفاع عن السنة للدكتور محمد أبى شهبة .

الفصل الخامس

(السّنة والدكتور أحمد زكي أبى شادي)

ألف كتاباً سماه (ثورة الإسلام) مريداً به الدفاع عن الإسلام فمزج فيه الحق بالباطل وتردى بأئمة الحديث وكذب الأحاديث مستهزءاً بمكانتها وزعم أنها مختلقة وأنه لا يمكن أن يقبل صحتها العقل وأن أغلبها تدعوا إلى السخرية بالإسلام والمسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم ، يقول (وهذه سنن ابن ماجة والبخاري وجميع كتب الحديث والسنة طافحة بأحاديث وأخبار لا يمكن أن يقبل صحتها العقل ولا نرضى نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأغلبها يدعو إلى السخرية بالإسلام والمسلمين وبالنبي الأعظم) والعياذ بالله (١) .

ويزعم (وأما التغني بأبي داود والترمذي والنسائي ومسلم وترديد الأحاديث الملفقة التي لا تنسجم وتعاليم القرآن واما سوء تفسير آيات الكتاب العزيز واما الجهل بروح القرآن ، واما التنازل عن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان فبمثابة الخيانة لرسالة الإسلام الخالدة) (٢) .

ثم يقول في حديثه مع المستشرقين (ومع علم أولئك المستشرقين كعلم المستنيرين من المسلمين بأن الجمهرة من الأحاديث النبوية مختلفة اختلاف الاسناد نفسه الذي لم يكن معروفاً في فجر الإسلام فإن حظهم هو التعلق بكل سخف حقير منها للتدليل على سخافة الأسلام وحقارته يساندهم في ذلك من طريق غير مباشر جهلة الكتاب المسلمين) (٣) .

(١ ، ٢) ثورة الاسلام ص ٢٥، ٤٤

٣ ــ ثورة الاسلام ص ١٧

هذا بعض ما كتبه الدكتور عن السنة ورجالها ، وهو ترديد لما سبق من كلام أعداء الإسلام من المستشرقين وأذنابهم من الطعن في السنة وتشكيك لما ثبت وصحح على أيدي المحققين أصحاب السنن الذين حفظوا الإسلام ممثلا في تراثه الخالد جيلا بعد جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ان المحققين قد أجمعوا على أن أصح الكتب بعد كتاب الله لهي صحيح البخاري فمسلم ثم أبو داود فالترمذي فالنسائي وابن ماجه ، فقوله (ان الجمهرة من الأحاديث النبوية مختلقة) هو محض افتراء وكذب وطعن في الصحاح وتجاهل بمكانة السنة التي هي صنو الكتاب في التشريع ، على أني لا أضيع وقتي في الرد على مزاعم الدكتور إذ هي ترديد لما سبقت من المستشرقين وتلامذتهم ولأنها ليست قليلة بمكان يمكن أن تضمها هذه العجالة السريعة .

إن نظرة المؤلف العامة للإسلام نظرة مشوهة ومحفوفة بالمخاطر والمطاعن ومن طالع كتابه هذا بإمعان يدرك أنه لا يهدف إلى هدم السنة والطعن فيها فحسب بل يتخذ منها سبيلا إلى تحريف القرآن والشريعة ليخضعهما –على حسب زعمه– لمتطلبات العصر ، وجعلهما عرضة للتبدل بتبدل الأحوال والظروف حتى يصل في نهاية المطاف إلى إبطال الدين والشرائع .

يقول (١) (إن روح الإسلام التي تقر مبدأ الصالح العام بل تقدسه تسمح في هذا العصر بأن تكون المرأة قوامة على الرجل بقدر ما تسمح بأن يكون الرجل قواماً على المرأة إذ أن مرد ذلك إلى الاعتبار الاقتصادي لا أكثر ولا أقل ، بخلاف ما كان عليه الحال في فجر الإسلام) . . إلى آخره . .

فهو لا يهمه أن يبطل مفعول الآية الكريمة :

« **الرِّجال قوّامونَ على النِّساء** » (٢) .

---

١ – ثورة الاسلام ص ٢٤

٢ – سورة النساء آية (٣٤)

تحت ستار الصالح العام وكيف يأتي بعبارة منمقة عليها مسحة البحث العلمي المزعوم ليبطل حكم الله الخالد وسنته التي لا تتبدل ويثبت أن المرأة قوامة على الرجل ويرجع ذلك – على زعمه – إلى الإعتبار الإقتصادي لا أقل ولا أكثر أما الدين والخلق فلا عبرة بهما . .

ثم يقول (. . . والقرآن الشريف والأحاديث النبوية مجموعة مبادئ خلقية وسلوكية مسببة ، بحيث أن أحكامها عرضة للتبدل بتبدل الأحوال والأسباب ففيه شواهد هادئة على ضوئها وأسبابها وظروفها ، لا أحكام متزمتة لا تقبل التعديل وفاقاً لتبدل الأسباب والظروف) . (١)

ان الرجل يريد أن نبدل القرآن والسنة على حسب أهوائه ونزعاته وشهواته انه يظن مصادر التشريع الإسلامي أهون من قوانين أوربا التي لا تستبدل إلا بعد إجراء تجارب معينة وتحت ظروف وجمعية تشريعية عليا لتصرفها حسب الظروف المتبدلة ، انني لا أخشى على الإسلام من أعدائه قدر ما أخاف عليه من أبنائه وأدعيائه .

ان الرجل عاش وتربى في حضن الولايات المتحدة الأمريكية وعايش بعض الأحداث في عصر كان يدين بالحرية المطلقة ، وهو معجب بمدنية أوروبا الغربية عامة وبأمريكا خاصة ويمجدها تمجيداً قوياً – ولهذا كثيرا ما يرى في كتابه يستشهد بمبادئ أمريكا وحضارتها حتى قال (ان مبادئ الإسلام نظرياً وعملياً هي أقرب ما تكون لمبادئ الحضارة الأمريكية والحياة الأمريكية تفكيراً وسلوكاً ، فهل يتنبه المسلمون إلى هذه الحقيقة الراسخة فيفلحوا) . (٢)

ثم أرد عليه وهو يجعل من القوانين الرخيصة الوضعية مثلاً أعلى ومن الحياة الغربية المهينة شأناً وأي شأن ؟ ؟ ! ! يقول :

---

١ – ثورة الاسلام ص ٦٣
٢ – المصدر السابق ص ٥٧

(وما الدفاع الذي تقوم به أمريكا اليوم عن العالم الحر إلا صنو الدفاع الذي رفع لواءه محمد (صلى الله عليه وسلم) . (١)

ان الرجل الذي بلغ الذروة في حبه لأمريكا ومبادئها وحضارتها وأعجب بها أي إعجاب حتى نسي ما تقوم به أمريكا من مساندة وتأييد للصهيونية المجرمة الغاشمة وإسرائيل وغمطها للحق العربي الإسلامي وحق شعب فلسطين .

ان المؤلف معجب بالثورات لذلك سمى كتابه (ثورة الإسلام) وهل ما يدري ماذا جنى المسلمون والعرب من تلك الثورات المتعاقبة على حكوماتهم إلا ضعفاً على ضعف ووهناً على وهن ، ان الثورة بمفهومها تعني التغيير والتبديل بالقوة والتسلط وفرض نفسها بالجبروت والطغيان والاستيلاء على السلطة بالعنف . . فهل جاء الإسلام ثائراً على البشرية ثائراً على أوضاعها وتقاليدها ثائراً على حياتها ومجتمعاتها . . كلا انه جاءها هادياً للبشرية ورحمة للإنسانية منقذاً لها من هاوية الدمار والخراب . . إلى دار السعادة والهناء والبقاء . . والخير والفلاح . . في الدنيا والآخرة .

هذا ولا يزال أعداء السنة يواصلون حملات تضليلية تشكيكية مركزة تستهدف السنة بل الإسلام عقيدة وشريعة ، فقد نشرت مجلة العربي الكويتية (٢) مقالا لعبد الوارث بعنوان (ليس كل ما في صحيح البخاري صحيحاً وليست هذه الأحاديث مفتراة فحسب بل منكرة) وطالب فيه بضرورة تنقية كتب التفسير والحديث من هذه الخزعبلات والمفتريات . . على حد زعمه .

ومزاعمه هذه ما هي إلا مواصلة لمساعي سادته المستشرقين والغربيين المنطوين على الحقد الدفين ضد الإسلام والمسلمين . والأدهى من هذا وأمر أن يدعو رئيس دولة إسلامية إلى نبذ السنة وإنكارها ويجهر بذلك ، فيا لله لدواوين السنة وكتب الحديث ، نعوذ بالله من الخذلان واستحواذ الشيطان ، ومن يضلل الله فلا هادي له .

---

١ ـ ثورة الاسلام ص ٦١

٢ ـ مجلة العربى عدد فبرائر ١٩٦٦م ص ١٣٨

الفصل السادس

(منكروا السنة فى القارة الهندية)

تمهيـــد

سبق أن ذكرنا أن كتب التاريخ لا تحدثنا عن أفراد أو جماعات انتسبت إلى الإسلام ودعت إلى نبذ السنة بعد القرن الثاني أو على الأكثر بعد القرن الثالث ، وأن الأمة الإسلامية ظلت آمنة طوال أحد عشر قرناً إلا أن الفتنة قد استيقظت بعد ذلك من قبل المستعمرين .

يقول الأستاذ المودودي رحمه الله (ما أن حل القرن الثالث عشر الهجري حتى دبت الحياة في هذه الفتنة « فتنة إنكار السنة وحجيتها » من جديد فكانت ولادتها في العراق وترعرعت في الهند ، وان بدايتها لتعود في الهند إلى سيد أحمد خان ومولوي جراغ علي ، ثم كان فارسها المقدام مولوي عبد الله جكرالوي ثم تسلم الراية مولوي أحمد دين امرتسري ثم تقدم بها مولانا اسلم جراجيوري وأخيراً تولى رياستها غلام أحمد برويز الذي أوصلها إلى ساحل الضلال (١) .

وفي ضوء ما أشار إليه الأستاذ المودودي ينبغي أن نتعرف على أفكار السيد أحمد خان وجراغ علي حول السنة (٢) ، لأن أفكارهما هي التي مهدت الطريق لإعلان خبايا نفوس أهل القرآن الذين صرحوا بإنكار السنة كلها ، وأخذوا يدعون إليها كحركة علمية ثقافية تقدمية فاغترَّ بالإنضمام إليها بعض البله ومن لا صلة له بالعلوم الدينية من العامة والمثقفين (٣) .

---

١ ـ سنت كى آئينى حيثيت ص ١٦

٢ ـ انظر فرقة أهل القرآن ص ٧٣ ومابعدها

٣ ـ انظر ص ٧٨ ومابعدها من هذه الرسالة .

« نشأة أهل القرآن فى القارة الهندية »

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بدأت الدعوات الهدامة تغزو الهند إثر إصابة المسلمين بجمود ثقافي واجتماعي ، غير أن مفعولها سرى على شكل واضح في ولاية بنجاب بأواسط الهند الموحدة . وما أسوأ حظ هذه البقعة من الأرض حيث كانت مسرحاً لحركتين هدامتين للإسلام – القاديانية وأهل القرآن .

ففي سنة ١٩٠٠م ظهر من تلك البقعة مرزا غلام أحمد القادياني وادعى النبوة ، ثم بدأ غلام نبي المعروف بعبد الله جكرالوي (١) نشاطه الهدام بإنكار السنة كلها وأسس مذهبه باسم أهل القرآن في سنة ١٩٠٢م .

---

١ ـ هو عبد الله بن عبد الله الجكرالوى نزيل لاهور ، ولد فى جكرالة بمقاطعة « ميانوالى » ببنجاب بالباكستان فى نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادى فى أسرة علم ودين · وتلقى علومه الاولية على يد والده ثم فى المدارس الأهلية المجاورة لبلدته واخيرا سافر الى « دهلى » لدراسة الحديث الشريف على يد « ميان نذير حسين المحدث الشهير » وبعد العودة من « دهلى » أصبح شيخا من شيوخ (أهل حديث) ودخل فى مجال التأليف والنشر ولعل أول انحرافه عن جادة الحق يعود تاريخه الى العقد الاخير من القرن التاسع عشر عندما ناظره ابن عمه (القاضى قمر الدين) فى أوائل هذا العقد بطرح معضلات امام عبد الله فى الحديث الشريف ما اوقعته فى اللبس فقال قولته المشهورة (هذا هو القرآن الموحى به وحده من عند الله الى محمد صلى الله عليه وسلم وأن ما عداه فليس بوحى) ثم شرع فى تصنيف تفسيره للقرآن الكريم واتخذ لاهور مقرا دائما لنشر دعوته الجديدة ، وكان يجيد اللغة العربية وله باع طويل فى علومها المختلفة وكان مناظرا جيدا وجدليا بارعا خلف مؤلفات عديدة · مرض فى بدلية ١٩١٢م فنصحه الاطباء بمغادرة لاهور واختيار موضع اخر لسكناه حرصا على صحته فانتقل الى « ملتان » ثم الى « ميانوالى » القريبة من جكرالة وظل طريح الفراش الى أن انخر ته المنية سنة ١٩١٤م ـ انظر نزحة الخواطر (٢٨٩/٨) .

وقد تزعم حركة أهل القرآن في بداية الأمر شخصيتان « محب الحق » عظيم آبادي (١) في بهار — شرقي الهند — و « عبد الله » الجكرالوي — في لاهور في آن واحد . غير أن الأول لم يخالف المسلمين في الأعمال الظاهرة بل كان متمثلا لها كأي فرد من المسلمين باستنباط ذلك من القرآن الكريم دون اللجوء إلى السنة الشريفة (٢) مع ما سجله من المخالفات الظاهرة كإنكاره وجود منصب الإمامة في الإسلام لعدم ذكر القرآن له وغير ذلك .

وأما عبد الله فقد خالف المسلمين منذ اللحظة الأولى ابتداء من ثاني أركان الإسلام إلى أن أدى به المقام إلى تشكيل فرقة جديدة باسم (أهل الذكر والقرآن) .

« أسباب نشأة أهل القرآن »

كادت المصادر التي بحثت عن نشأة أهل القرآن وخروجهم إلى حيّز الوجود تتفق على أنهم الثمرة الطبيعية للحركة التي بذر بذورها أعضاء حركة السيد أحمد خان (٣) وقد تحدث عن ذلك الشيخ ثناء الله ما نصه (ما أشأم ذلك اليوم

---

١ — هو الحافظ السيد محب الله ولد فى آخر السبعينات من القرن التاسع عشر وكان حنفي المسلك فى اول الأمر ثم تحول عنه وأصبح عضوا غير بارز فى زمرة أهل القرآن وله مؤلفات عديدة منها (١) دعوة الحق (٢) شرعة الحق (٣) منهاج الحق (٤) بلاغ الحق · وقد صنف كتابه الاول والثانى قبل الانضمام الى أهل القرآن ، والثالث اثناء تذبذبه والاخير فيه التصريح بعدم أخذ السنة فى الدين ، توفى فى أواخر الخمسينات من القرن العشرين ·

٢ — انكار حديث ايك فتنة ايك شازش ص ١٧٩ للبروفيسر محمد فرمان

٣ — انظر نصرة الحديث ص ٢ للشيخ حبيب الرحمن الأعظمى وسنت كى آئينى حيثيت لأبى الا على المودودى ص ١٦ وفرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها ص ٤ رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من الشيخ خادم حسين الهى بخش فى جامعة الملك عبد العزيز سنة ١٤٠٠ هـ

الذي خرج فيه صوت عليكره (١) المخالف لجميع الأمة الإسلامية الداعي إلى الإعتماد على القرآن وحده في الدين أو السنة لا تكون دليلا شرعياً ، فأثر هذا الصوت على الحافظ محب الحق عظيم آبادي في « بتنة » بالهند كما أثر على عبد الله جكرالوي في لاهور بباكستان أعظم تأثير (٢) .

٢ ـ أصابت المسلمين بجمود ثقافي واجتماعي وجهل الكثيرين منهم بأمور دينهم مما نتج عنه فقدان العلم الصحيح بين الأوساط الإسلامية .

٣ ـ استغلال الدولة المستعمرة تربية بعض الأفراد المنحرفين ممن تسموا بالمسلمين مباشرة أو بالوساطة وشحن أفكارهم لصالحها ولو على حساب الدين ـ مما تضمن بهم الولاء على المسلمين وكان على رأس هؤلاء غلام أحمد القادياني وعبد الله جكرالوي وأتباعهما .

٤ ـ اغترار بعض الفئات بالنظريات العلمية الأوروبية المنتشرة خلال النصف الأوّل من القرن العشرين وتفسير الحقائق الإسلامية على ضوء تلك النظريات والتوفيق بينها وبين الإسلام ، وقد ترأس أتباع سيد أحمد خان إيجاد

---

١ ـ المراد به حركة السيد احمد خان الممثلة فى دعوة المسلمين الى تقليد المستعمرين فى كل أمور الدنيا والدين وأن هذا هو طريق التقدم والرقى والحضارة وأن المسلمين اذا ما أرادوا ان يلحقوا بركب الحضارة فعليهم أن يقلدوا الانجليز فى كل شيء · على هذا الاساس قامت حركة السيد احمد خان فقد أنكرت ما تنكره الثقافة الغربية ولو كان دينا وأثبتت ما تثبته ولو كان مخالفا للدين ولاجماع المسلمين ·

يقول الشيخ ابو الحسن الندوى (اما القيادة الثانية التى تزعمها السيد احمد خان عل ىأساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها ـ على علاتها وتفسير الاسلام والقرآن تفسيرا يطابق ما وصلت اليه المدنية والمعلومات الحديثة فى آخر القرن التاسع عشر المسيحى ويطابق هوى الغربيين وآرائهم وأذواقهم والاستهانة بما لا يثبته الحس والتجربة ولا تقرره علوم الطبيعة فى بادى النظر من الحقائق الغيبية وأمور ما بعد الطبيعة) انظر (الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ص ٧١) اما رأيه فى السنة فسيأتى فى ص ٨٥

٢ ـ فرقة أهل القرآن ص ٧٧

هذا الإنسجام ، ثم تبعهم أهل القرآن في هذا المسلك لوجود الصلة الروحية بين الفريقين (١) .

٥ ـ ولعل السبب المباشر لنشأة أهل القرآن هو شعورهم بضرورة وحدة الصف الإسلامي والخلاص من الفرق المتعددة (على حد زعمهم) من الحنفية والشافعية والمالكية . . وجميع المسلمين تحت راية واحدة ، لكنهم ضلوا الطريق بجهلهم بالإسلام وأسس الحكمة (٢) .

ومهما تعددت أسباب نشأتهم إلا أن في طبيعة هذه الأسباب إنما هو الزيغ والإلحاد والضلال وحب الشهرة والرئاسة والحصول على المكانة المرموقة عند المستعمر وكسب المكاسب المادية منه .

---

١ ـ كنظرية الارتقاء فى خلق آدم ووجود الجنس البشرى وتأويل الآيات القرآنية على ضوء هذه النظرية · انظر (ابليس وآدم ـ للبرويز ص ٦ـ٣٥) نقلا عن (فرقة أهل القرآن وموقف الاسلام منها ص ٧)

٢ ـ فرقة أهل القرآن وموقف الاسلام منها ص ٧

(أشهر زعماء أهل القرآن)

١ : ـ الخواجه احمد دين الامرتسرى

ولد في عام ١٨٦١م بمدينة امرتسر بالهند، وتلقى علومه الدينية في امرتسر وغاية ما وصل إليه من التعليم المنتظم هو الثانوية الإسلامية في امرتسر ، غير أن جده وشغفه بالمطالعة أكسباه شهرة واسعة فعيّن عضواً لهيئة التدريس في المدرسة الإسلامية بامرتسر .

وفي ١٩١٧م أحيل إلى التقاعد ثمّ درّس مدة في مدرسة البنات وكان يجيد اللغة العربية والفارسية والأردية والإنجليزية وقد نبغ في كل علوم الإقتصاد والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفلك والمنطق والعلوم الإسلامية كما كان يعرف علم النبات وطبقات الأرض وغيرها من العلوم الشائعة آنذاك (١) .

وقد اتصل بعبد الله الجكرالوي في ١٩٠٢م وكثيراً ما كان الخواجه يزوره لتبادل الآراء والمناقشة حول العديد من المسائل العلمية فيقنع عبد الله الخواجه أحياناً كما كان يقنع هو بآراء الخواجه أحياناً أخرى .

هذا وقد قام الخواجه بتأسيس طائفته المنفصلة بامرتسر في عام ١٩٢٦م واختار لها اسم (أمة مسلمة) وأصدر مجلة « البلاغ » خاصة بهذه الجماعة تحمل أفكارهم وتنشر نظرياتهم الخاصة وقد استطاع أن يجذب إليه كثيراً من الأثرياء والبلغاء والنبهاء ، ويوسع نشاط هذه الفرقة بسبب دماثة خلقه .

وكان يمتاز بعمق الفكر فيما يكتب فيه فيوفي الموضوع حقه من جميع جوانبه بالإعتماد على القرآن وحده دون اللجوء إلى ما عداه . وله مؤلفات

---

١ ـ فرقة اهل القرآن ص ١٩

عديدة ، من أشهرها « معجزة قرآن » (مجلد واحد) مات في ١٩٣٦م بعد أن ظل طريح الفراش ثلاثة أشهر .

٢ : ــ الحافظ اسلم جراجبوری

ولد في جراجبور عام ١٨٨٠م بالهند في أسرة أهل الحديث وحفظ القرآن قبل أن يناهز التاسعة من عمره ولذلك لقب بالحافظ . ثمّ درس الفارسية والإنجليزية ثمّ الرياضيات كما أنه درس العربية على مولانا فتح الله .

والمعروف أنه لم يدرس في مدرسة منظمة إلا أن شغفه بالعلم والمطالعة سما به إلى مكان مرموق وقد تنقل مدرساً في عدة مراحل .

ولعل صلته بأهل القرآن ترجع إلى قلقه النفسي من جراء مسألة حجب ابن الإبن بعد وفاة أبيه مع عمه من تركة جده ، يقول : أثناء دراستّي للسراجي (١) وقفت في مسألة حجب ابن الإبن مع عمه ، ولم تلق في نفسي قبولا فبحثت في علم الفرائض فلم أجد لي موافقاً ، وأخيراً وجدت القرآن يوافق في ذلك (٢) وقد أخرج كتاباً باسم « محجوب الإرث » نقد فيه قواعد الميراث المجمع عليها بين المسلمين .

والحافظ يمتاز ــ من بين أهل القرآن ــ باطلاعه الواسع وكثرة مؤلفاته في النقد للعلوم المستنبطة لخدمة السنة .

وهو يعتبر الرجل الثاني ــ بعد برويز ــ من حيث التأليف والقيام بنشر أفكار أهل القرآن . وقد مات في ٢٨ ديسمبر عام ١٩٥٥م عن عمر قارب الخمسة والسبعين .

---

١ ــ يشير بذلك الى (السراجى فى علم الميراث) لسراج الدين محمد الحنـــفى

٢ ــ فرقة أهل القرآن ص ٢٦

٣ : ــ برويز

هو غلام أحمد برويز بن فضل دين ، ولد في عام ١٩٠٣م ، في بلدة بثالة القريبة من قاديان بالبنجاب الشرقية في الهند في أسرة علمية وتلقى علومه الدينية الأولى في كنف جده ولم يتجاوز في دراسته الثانوية ثمّ انتقل إلى المحيط العملي فتوظف في المطبعة الحكومية .

وبعد استقلال باكستان انتقل إلى كراتشي ونشط في دعوته نشاطاً بالغاً لخلو الجو من المعارضة آنذاك فوضع لمؤيديه أسساً واضحة وجعل لهم مكاتب فكر تحت إدارته ولم تمض بضع سنوات حتى عمّ ذكره في أرجاء باكستان وانضم إلى صفوفه كثير من المثقفين المحامين والمحاضرين والطلاب والمهندسين .

وكان يمتاز بالاطلاع الواسع على الأفكار الأوروبية ويرمي وجوب صبغ الإسلام بها ، وهو يعتقد أن النظريات العلمية حقائق لا تقبل الجدل والمناقشة بل يجب تفسير القرآن بمقتضاها (١) .

كما أن أسلوبه في المؤلفات يخلب قارئه من حيث يذهل عما دس فيها من الأباطيل ، أمّا التأويل وصرف الكلمات عن معانيها الحقيقية في كتبه فحدث ولا حرج فما من معتقد إسلامي إلا مسّه قلم برويز بالتأويل بأسلوب لا يفطن إليه إلا المتعمق في دراسة العلوم الإسلامية .

والرجل قد تتلمذ على الحافظ أسلم وورث منه جميع مخلفات الخواجه الفكرية حول السنة ويعد السيد أحمد خان في قائمة مفكري هذا العصر ويمدح عبد الله الجكرالوي في منهجه ويدعي كمال الدين في القرآن وعدم التسليم لغيره في الحجة والبرهان ، وهو يعتبر أكثر أهل القرآن كتابة وتأليفاً (٢) .

---

١ ــ فرقة أهل القرآن ص ٣٢

٢ ــ انظر فرقة أهل القرآن ص ٣٥

ولا يزال الرجل حياً يسعى ويجتهد في نشر أفكاره وحزبه (طلوع اسلام) أقوى أحزاب أهل القرآن الموجودين في الوقت الحاضر .

ويوجد في الوقت الحاضر أربع فرق من أهل القرآن (١) ويجمعهم أمران :

١ ـ القول بالاكتفاء على القرآن وحده في الأمور الدنيا والآخرة .

٢ ـ وأن السنة النبوية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) ليست بحجة في الدين فلا مجال لإقحامها فيه ، وبهذا نعرف الفرق بين أهل القرآن وغيرهم من منكري السنة ، فهؤلاء ينكرون السنة أصلا كمصدر للتشريع بينما غيرهم يثيرون الشبهات حولها .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة :

(ان الذين يثيرون الغبار حول السنة فريقان ، فريق ظهر مروقه من الدين مروق السهم من الرمية وقد ظهرت هذه الطائفة في الهند وباكستان والتقيت بنفر منهم فحكمت بادي الرأي عليهم بحكم لا يسر أتباعهم في مصر ، ذلك أن هؤلاء لا يكتفون بإنكار حجية السنة بل يفسرون القرآن بأهوائهم وما يعرفون كلمة عربية بل يفسرون الترجمة الأعجمية الباطلة ويضربون الكتاب بعضه ببعض فينكرون حكم آيات المواريث وحكم آيات الصدقات بل ينكرون بعض الصلوات وهكذا كان علمهم إنكاراً وتفكيرهم ضلالا ، وأصل هؤلاء من منبوذي الهنود دخلوا في الإسلام ليفسدوه فضل سعيهم . . وساء ما يفعلون ويقولون ، وقد وجدنا أتباعاً لهذه النحلة الضالة المضلة في مصر . . والفريق الثاني من هؤلاء لا يظهرون إنكار حجية السنة ولكنهم يكثرون من التشكيك فيها وفي الرواة ويدعون أنهم يريدون تنقيتها ، وأولئك منهم من يلبس العمائم

---

١ ـ انظر فرقة أهل القرآن ص ٣٩

ويتزي بزي الإسلام ويتسربل بسربال علمائه . . ويقول انه تخرج من معاهد أقيمت للدراسة الإسلامية .

وهؤلاء نقول لهم بدل أن تطعنوا بالجملة : خصصوا وادرسوا إن كنتم مخلصين وائتونا بمجموعة تقيمون الدليل فيها على عدم صدق النسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، أما أن تلقوا القول على عواهنه و تثيرون الغبار في الجو كله . . فإن ذلك يدل على فساد المقصد وسوء الطوية ويثبت أنكم لا تريدون للإسلام عزاً ولا لأحكامه تقريراً وتثبيتاً (١) .

« سيد أحمد خان(٢) وموقفه من السنة »

سبق أن ذكرنا أن نشأة أهل القرآن إنما كانت الثمرة الطبيعية للحركة التي بذر بذورها أعضاء حركة السيد أحمد خان وذكرنا أن حركة السيد أحمد خان

---

١ ـ من مقال له فى مجلة « حضارة الاسلام » العدد ـ ٥ ـ السنة ٨ ص ٢٥

٢ ـ هو سيد احمد خان بن احمد مير المتقى بن عماد الحسينى ، ولد فى دهلى فى بيت شرف وعز فى ١٧ اكتوبر ١٨١٧م بدأ دراسته بالقرآن الكريم ثم درس بعض كتب الفارسية والعربية ، وفى ١٨٣٨م توفى والـــده وكانت وفاته نقطة تحول فى حياته لانقطاع الراتب الذى كانت الاسرة تتقاضاه من الديوان المغولى ، فاتصل بشركة الهند الشرقية للعمل بها فأعجب الانجـليز بذكائه فرقوه حتى أوصلوه الى درجة مساعد القاضى فى المحاكم الانجليزية وبدأت حياته العلمية بتصنيف الكتب واصدار المجلات الثقافية والعلميـــة وانتهت بتأسيس المدارس والمعاهد واخيرا جامعة عليكره ، ففى ١٨٤٧م أخرج كتابه الشهير (آثار الصناديد) فى ذكر الآثار القديمة لمدينة دهلى ومـــن آثاره العلمية (اسباب الثورة فى الهند) و (خطبات احمدية) و (تاريـخ بجنور) و (تصحيح آئين أكبرى) وغيرها ٠ هذا بالاضافة الى ما كتبه فــى مجلة (تهذيب الاخلاق) التى جمعها الشيخ محمد اسماعيل ونشرها تحت اسم (مقالات سر سيد) كما ان له تفسيرا للقران الكريم وفيه التحامل الواضح لاستنباطات معينة من القرآن الكريم ، وكانت وفاته ٢٧ مارس ١٨٩٨م ـ ١هـ « ملخصا من نزهة الخواطر (٣٠/٨) وفرقة أهل القرآن ص ٧٥ »

كانت تقوم على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية وأنه لا بدّ للمسلمين إذا أرادوا الرقي والتقدم والازدهار أن يتخلوا عن مبادئ دينهم ونظم شريعتهم وأن يقلدوا مستعمريهم في كل شئون دينهم ودنياهم ، فهذا طريق رقيهم وتقدمهم .

وأما موقفه من السنة فيتضح مما سجله بقلمه في العديد من كتبه وقد استغرقت بحوثه عن السنة والأحكام الواردة عن طريقها الجزء الأكبر من مقالاته الدينية فبدأ بالتأويل في المغيبات الواردة عن طريقها مثل تأويله في تعريف الشيطان بأنه « القوى العدائية التي لا يملك الإنسان السيطرة عليها » (١) .

ثم تقدم خطوة فأنكر جزئيات من السنة مثل إنكاره للسنة الواردة في مماثلة الأراضين للسموات في العدد فقال (ان هذا التصور مما كان يقول به الجاهليون دون من سواهم . . وبناء على لفظ (مثلهن) في الآية (٢) وضعت تلك الروايات كلها في هذا الباب والله ورسوله برئ منها (٣) .

ومثل إنكاره للأمر الخارق للعادة ، فما كان منه في القرآن نفاه على أنه لم يقع كنفيه إلقاء إبراهيم في النار وولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، وابتلاع الحوت ليونس عليه السلام (٣) أو حمله على الاستعارات والمجازات؟ وما كان من الخرق في السنة أنكره استناداً إلى أنه مخالف للقوانين الطبيعية ولا يصح الخلف في القوانين الطبيعية البتة (٣) .

ثم تقدم خطوة فقال (بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ظلت الروايات تتناقل على الألسنة إلى عهد التصنيف في الكتب المعتمدة ، غير أننا لا نستطيع

---

١ ــ فرقة أهل القرآن ص ٧٧
٢ ــ يشير الى قوله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الطلاق
٣ ــ فرقة أهل القرآن ص ٧٨

أن نغض الطرف عن الصورة التي دونت بها كتب الأحاديث تلك التي كان مبناها روايات الذاكرة . . بينما البعد الزمني كفيل بمزج الزائد بها وإضافة الجديد إليها (١) .

ويضيف قائلا (بأن ما دون في هذه الكتب من الأحاديث إنما هي ألفاظ للرواة ولا نعرف ما بين اللفظ الأصلي – الصادر من شفتيه صلى الله عليه وسلم – والمعبر به من وفاق أو خلاف وليس من العجب أن يخطيء أحد الرواة في فهم الحديث مما يكون سبباً في ضياع المفهوم الصحيح) (٢) .

وبناء على هذا جعل الأحكام المستنبطة من السنة بوجه عام أحكاماً لا يجب على المسلم اتباعها (وأن ما استخرج العلماء من نصوصها الحالية إنما هي أحكام اجتهادية لا نصية فيها ولا حتمية لاحتمال ألا يكون ذلك مقصوده عليه السلام) (٣) .

ثمّ خطا خطوة أخرى إلى الأمام فعاتب المحدثين والسلف محملاً إياهم التقصير في عدم تمحيص متون السنة مثل السند فقال (وانا لنشكر المحدثين جهودهم المبذولة في هذا الشأن غير أن جل مساعيهم بل كلها لم تتجاوز توثيق الرواة وعدمه بينما أولئك الرواة قد مضى على وفاتهم زمن طويل ثم أعقب ذلك دور التحقيق عنهم بحيث يكون هو العمدة في قبول الحديث ورده ، فإن لم يكن هذا العمل مستحيلا فلا يخلو أن يكون أمراً في غاية الصعوبة) (٤) .

كما قال أحمد أمين في ضحى الإسلام (٥) .

وفي نهاية المطاف حاول أن يجهز على السنة بوضعه الشروط التي يتعذر توفرها في أغلب الأحاديث فقال (والمعيار السليم لقبولها هو أن ينظر إلى المروى بمنظار القرآن ، فما وافقه أخذناه وما لم يوافقه نبذناه . . وإن نسب شيء من ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب أن يتوفر فيه ثلاثة شروط .

---

١ – ٢ – ٣ – ٤ – فرقة أهل القرآن ص ٧٩

٥ ضحى الاسلام لاحمد أمين – (١٣٠/٢)

١ ــ أن يكون الحديث المروي قول الرسول بالجزم واليقين .

٢ ــ أن توجد شهادة تثبت أن الكلمات التي أتى بها الراوي هي الكلمات النبوية بعينها .

٣ ــ ألا يكون للكلمات التي أتى بها الرواة معان سوى ما ذكرها الشراح.

فإن تخلف أحد هذه الشروط الثلاثة لم يصح نسبة القول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إنه حديث من أحاديثه)(١) .

وهذه الشروط لا تتوفر إلا في المتواتر اللفظي دون سائر السنة الصحيحة المتواترة تواتراً معنوياً أو السنة الأحادية التي عليها مدار الأحكام الشرعية عند المسلمين ، إذا فمعنى هذا نبذ السنة كمصدر تشريعي للدين الحنيف .

ويعلم من هذا أن المؤلف باشتراط هذه الشروط يريد أن يتوصل تدريجياً إلى إنكار السنة وحجيتها وأن يجهز عليها كلياً لأن هذه الشروط يتعذر توفرها في أغلب الأحاديث . ولا غرابة منه هذا فقد أنكر الجنة والنار والملائكة وكثيراً من أمور الآخرة التي تواترت النصوص على ثبوتها ووجودها .

---

١ ــ فرقة أهل القرآن ص ٨٠

(جراغ علي وموقفه من السّنة)

يعتبر جراغ علي(١) أحد أعمدة المدرسة التي أسسها السيد أحمد خان ومن أكبر المدافعين عن آراء السيد كما أنه حاول أن يصبغ الإسلام بالحضارة الغربية مثل أستاذه – السيد أحمد خان – فأول نصوص الإسلام بما يتلائم مع تلك الحياة الأوربية .

يقول الدكتور محمد مصطفى الأعظمي (إن المستعمرين قد تنبهوا لخطورة روح الجهاد بالسيف فشرعوا بالطعن في أحاديث الجهاد وكان جراغ علي والمتنبي الكذاب القادياني من قادة هذه المدرسة كما انتجت الروح الانهزامية رجالا مثل السيد أحمد خان وعبد الله جكرالوي وأحمدالدين أمرتسري وآخرين . .)(٢) .

وأما موقفه من السنة فإنه يكشف النقاب عنه بقوله (إن القرآن كامل من كل الوجوه ويواكب سير الحضارة وتطورها ويرفع متبعيه إلى أعلى درجات الرقي والتمدن ، فإن أحسنا تفسيره وتعبيره سلك بنا هذا المسلك ، وإن قيدناه بآراء المفسرين ومنهجهم وحصرناه في الروايات فإن الوضع

---

١ – هو جراغ على بن محمد ، ولد سنة ١٨٤٤م فى أسرة علمية وقد اكتفى بالمتوسطة فى الدراسة المنتظمة غير أن شغفه بالمطالعة وحبه للاطلاع وذكاءه النادر أوصله الى مكان مرموق ، ففى ١٨٧٣م أخذ الرجل يتأثر بما كانت تنشره مجلة « تهذيب الاخلاق » التى كانت تصدرها حركة السيد احمد خان ، وبعد مضى بضع سنوات أخذ هو الاخر يكتب فى تلك المجلة على منوال السيد نفسه الى ان أصبح أحد أعضاء حركة عليكره البارزين . توفى سنة ١٨٩٥م (انظر للتفصيل مقالة « جراغ على » ايم اي اردو ١٩٧١م جامعة بنجاب لاهور باكستان) نقلا من فرقة أهل القرآن ص ٨١

٢ – دراسات فى علوم الحديث ص ٢٨

ينقلب رأساً على عقب فنسير نحو الهبوط والهاوية بدلا من التقدم ومسايرة الركب لأن الروايات لم يصح منها إلا القليل بل جلها فرضيات و أوهام للعلماء أو أنها دلائل قياسية واجماعية . وهذا المسلك هو ما يسير عليه قانون الشريعة والفقه ولا شك أن مثل هذا المسلك يحجز عن الرقي والتقدم ومسايرة ظروف الحياة)(١) .

ويقول (إن المحققين الذين جمعوا الأحاديث وميزوا بين سقيمها وصحيحها صرحوا بأن الحديث مهما قوي سنده لا يمكن الاعتماد عليه وما ذكر فيه غير حتمي قطعاً ، فلو أمعنا النظر في هذه الحقيقة لاضطررنا أن نقول : إن معايير الصدق والأصول العقلية لا حاجة لإقامتها لتميز الحديث لأن الحديث في حد ذاته لا يمكن الاعتماد عليه ولا اعتبار لما يتحدث عنه)(٢).

هذا وأن نظرة جراغ على العامة للإسلام نظرة مشوهة محفوفة بالمطاعن ، ومن اطلع على آرائه المختلفة في الشريعة وشعائرها أدرك انه لا يهدف إلى هدم السنة فحسب بل يتخذ من هدمها سبيلا إلى تحريف القرآن والشريعة ليصل في نهاية المطاف إلى إبطال الدين والشرائع .

يقول عن الجهاد (ليس المراد من الجهاد هو قتال العدو وحربه كما يفسره علماء المسلمين والمستشرقين بل معناه بذل الوسع في تحقيق الشيء المراد حصوله ، وأما تفسيره بحرب فلا تسنده اللغة العربية ولا الآيات القرآنية ، بل إن علماء الأدب يقرون بأن الجهاد غير الحرب البتة)(٣) .

---

١ ــ و (٢) فرقة أهل القرآن ص ٨٤
٣ ــ فرقة أهل القرآن ص ٨٢

ويقول عن الزكاة (لم يعين القرآن المقصود من الزكاة ، وإنما أمر بإعطاء الفقراء ما زاد عن الحاجة :

« وَيَسْئَلُونَكَ مَا ذا يُنْفِقُون قُل العَفْو »(١)،(٢) .

هذا وقد كان لآرائه وآراء السيدأحمد خان وأعضاء حركتهما الآخرين الأثر الأكبر في الجهر بإنكار السنة كلها ممن جاء من بعدهم – في القارة الهندية – وتبنى أفكارهم ودعا الناس إليها فلم يأت إنكارهم للسنة إلا تمهيداً لإنكار شرائع الدين وأحكامه حتى كان نهاية مطافهم أن حرفوا القرآن وأخضعوه لنظرياتهم الباطلة فمرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية . ومن يضلل الله فلا هادي له .

وأما شبهات أهل القرآن فسنورد أهمها في الباب القادم مع تفنيدها بإيجاز إن شاء الله .

---

١ – سورة البقرة – الآية (٢١٩) .

٢ – فرقة أهل القرآن ص ٨٣ وما بعدها

الباب الرابع

(شبهات منكري السّنة)

وفيه فصلان :

١ ــ شبهات منكري السنة عموماً .

٢ ــ شبهات فرقة أهل القرآن في القارة الهندية .

الفصل الاول

(شبهات منكري السّنة)

تعلق هؤلاء وهؤلاء – ممن أنكروا السنة – قديماً وحديثاً – بشبه وهي عندهم أدلة – تعلقوا بها ليقووا موقفهم ويدافعوا عن مذهبهم . نورد الأشهر منها ونرد عليها – باختصار – تلو كل شبهة ، كالآتي :

الشبهة الاولى :

قالوا : قال تعالى :

« مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْء » .

وإذا قلنا أن القرآن في حاجة إلى بيان كان ذلك تكذيباً صريحاً للقرآن وتكذيباً لمنزل القرآن الذي قد نفى عنه أن يكون فيه تقصير أو تفريط في أمر من الأمور ولذا فلا يمكن أن يستعان بشيء آخر في شريعة الله من سنة أو حديث (١)،(٢) .

تعلق به كل من توفيق صدقي وأبو رية(٣) .

الـــرد : أن القرآن حوى أصول الدين وقواعد الأحكام العامة ونص على بعضها بصراحة وترك بيان بعضها الآخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما دام الله قد أرسل رسوله ليبين للناس أحكام دينهم وأوجب عليهم اتباعه كان بيانه للأحكام بياناً للقرآن ، ومن هنا كانت أحكام الشريعة من كتاب

---

١ – السنة ومكانتها ص ١٥٣ ، مجلة المنار ٩/١ – ٧
٢ – دراسات فى الحديث النبوى ص ٣١
٣ – مجلة المنار ٥١٦/٩ ، اضواء على السنة المحمدية ص ٤٠٤

وسنة وما يلحق بهما ويتفرع عنهما من إجماع وقياس أحكاماً من كتاب الله تعالى إما نصاً وإما دلالة ولا منافاة بين حجية السنة وبين أن القرآن جاء تبياناً لكل شيء(١) .

وآية :

« مَا فَرَّطْنَا في الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » .

الاستدلال بها ليسَ في محله لأن القرآن قد ارشدنا إلى الأخذ بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم :

(وَما آتاكم الرَّسولُ فخذوه وما نهاكُم عنه فانتهوا) .

هذا على أن المراد بالكتاب هنا القرآن ، كيف وقد رجح كثير من المفسرين أن المراد بالكتاب هنا هو (اللوح المحفوظ)(٢) .

الشبهة الثانية :

قالوا : قال تعالى :

« إنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْر وإنّا لَهُ لحَافِظُون » .

يدل على أن الله تكفل بحفظ القرآن دون السنة ، ولو كانت دليلا وحجة كالقرآن لتكفل بحفظها)(٣) .

الــــرد :

والجواب علي هذا هو أن ما وعد الله من حفظ الذكر لا يقتصر على القرآن وحده بل المراد به شرع الله ودينه الذي بعث به رسوله وهو أعم من أن يكون قرآناً أو سنة ويدل على ذلك قول الله تعالى :

« فاسْألُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُون »(٤) .

---

١ ـ السنة ومكانتها ص ١٥٥

٢ ـ دراسات فى الحديث النبوى ص ٣٦

٣ ـ السنة ومكانتها ص ١٥٣

٤ ـ سورة الانبياء آية ٧

أي أهل العلم بدين الله وشرعه ،ولا شك أن الله كما حفظ كتابه حفظ سنة نبيه عليه الصلاة والسلام بما هيأ لها من أئمة العلم يحفظونها ويتناقلونها ويتدارسونها ويميزون صحيحها من دخيلها(١) .

وذكر الذهبي أن الرشيد أخذ زنديقاً ليقتله فقال (أين أنت من ألف حديث وضعتها ؟ فقال الرشيد أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها فيخرجانها حرفاً بحرف) وقيل لابن المبارك هذه الأحاديث الموضوعة ؟ فقال يعيش لها الجهابذة(٢) .

وقد رد ابن حزم على من زعم أن المراد بالذكر في الآية وحده فقال : (هذه دعوى كاذبة مجردة عن البرهان وتخصيص للذكر بلا دليل (والذكر اسم واقع على كل ما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم من قرآن أو سنة . . وهي بين بها القرآن وأيضاً فإن الله تعالى يقول :

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » .

(فصح أنه عليه السلام مأمور ببيان القرآن للناس ، وفي القرآن مجمل كثير كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما لا نعلم فإذا كان بيان النبي عليه السلام لذلك المجمل غير محفوظ و لا مضمون سلامته مما ليس منه فقد بطل الانتفاع بنص القرآن ، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا فيه فإذاً لم ندر صحيح مراد الله تعالى منها)(٣) .

الشبهة الثالثة :

قالوا : لو كانت السنة حجة لأمر النبي عليه الصلاة والسلام بكتابتها ولعمل الصحابة والتابعون على جمعها وتدوينها ، لكن لما ثبت أن

---

١ ـ السنة ومكانتها ١٥٦ ، ١٥٧

٢ ـ السنة ومكانتها ٢٥١ وانظر تهذيب التهذيب ١/١٥٢ وفتح المغيث ص ١٠٩

٣ ـ الاحكام لابن حزم ١/١٢١

النبي صلى الله عليه وسلم منع من كتابتها وأمر أن يمحى ما كتب منها فكيف تكون حجة ؟ (١) .

الـــرد :

وأجيب على هذا : بأن عدم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها ونهيه عن ذلك كما ورد لا يدل على حجيتها لأن المصلحة حينئذ كانت تقتضي تضافر كتاب الصحابة – نظراً لقلتهم – على كتابة القرآن وتدوينه ، ولئلا يختلط شيء من السنة بالقرآن .

والنهي الوارد إنما كان عن كتابة الحديث وتدوينه رسمياً كالقرآن ، وأما أن يكتب الكاتب لنفسه فقد ثبت وقوعه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بل تواتر كما سنذكره إن شاء الله .

وليست الحجية مقصورة على الكتابة حتى يقال : لو كانت حجية السنة مقصورة على النبي –عليه الصلاة والسلام – لأمر بكتابتها فإن الحجية تثبت بأشياء كثيرة منها التواتر ومنها نقل العدول الثقات ومنها الكتابة ، والقرآن نفسه لم يكن جمعه في عهد أبي بكر بناء على الرقاع المكتوبة فحسب بل لم يكتفوا بالكتابة حتى تواتر حفظ الصحابة لكل آية منه . وليس النقل عن طريق الحفظ بأقل صحة وضبطاً من الكتابة خصوصاً من قوم كالعرب عرفوا بقوة الحافظة وأتوا من ذلك بالعجائب ، فقد كان الرجل منهم يحفظ القصيدة كلها من مرة واحدة كما ثبت عن ابن عباس أنه حفظ قصيدة لعمرو بن أبي ربيعة في جلسة واحدة(٢) .

الشبهة الرابعة :

قالوا : يجب أن يكون الدين قطعياً وفي الأخذ بالسنة لا يبقى كذلك .

---

١ – و (٢) السنة ومكانتها ص ١٥٨

والآيات تدل على قطعية القرآن وتنفي عنه الريب :

« أَلم ۝ ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ »(١) .

« وَالذي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ هُوَ الحَق »(٢) .

وقالوا : إنكم تزعمون أن الحديث إما متواتر وإما آحاد ، والمتواتر لا يتجاوز بضعة أحاديث أما البقية فكلها من الآحاد وهي ظنية حسب قولكم ، فإذا كان الدين هو مجموع ما في الكتاب والسنة كان بهذا الاعتبار ظنياً إذ مجموع القطعي والظني ظني والقرآن الكريم يندد بمن يتبع الظن ، قال تعالى :

« وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُم إلاَّ ظَنّاً ، إنَّ الظّن لا يُغْني من الحَقِّ شَيْئاً »(٣) .

وقال سبحانه :

« وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لكَ بِهِ عِلْمٌ »(٤) .

وبما أن الأحاديث ظنية لذلك لا يمكن الاعتماد عليها ويبقى الدين هو القرآن وحده (٥) .

الـــرد :

وللجواب على هذا نقول : إنه مما لا ريب فيه أن القرآن الكريم قطعي الثبوت ولكنه ليس قطعي الدلالة في كل المواضع فمن يرجح أحد معانيه لا يستطيع أن يقطع بأن هذه الدلالة قطعية وما سواها باطل ، بل هو يعتقد بظنية دلالته فرجح الأمر إلى اتباع ما هو ظني الدلالة(٦) .

---

١ ـ سورة البقرة الآيتان (١و٢)   ٢ ـ فاطر ٣١
٣ ـ يونس ٣٦   ٤ ـ الاسراء آية ٣٦
٥ ـ استدل به كل من رد الاخبار وتوفيق صدقي ٩١٢/٩ من المنار وجماعة القرآن
٦ ـ دراسات فى الحديث النبوى ص ٣٤

وأما الدعوى بأن الظن في أحكام الدين غير جائز فذلك فيما يتعلق بأصول الدين التي يكفر من جحدها أو شك فيها كوحدانية الله تعالى . . أما فروع الدين وجزئياته فالعمل بالظن واجب ولا سبيل إليها إلا الظن بالظن غالباً .

وأيضاً ــ فإن حجية خبر الآحاد ليست ظنية بل هي مقطوع بها لانعقاد الاجماع على ذلك بين العلماء منذ عصر الصحابة فمن بعدهم فلا يكون العمل بها دليلا ظنياً بل بدليل مقطوع به مفيد للعلم بذلك وهو الاجماع(١) .

الشبهة الخامسة :

قالوا : أثر عن بعض الصحابة النهي عن التحديث أو التقليل منه ولم تدون السنة إلا في عصور متأخرة بعد أن طرأ عليهاالخطأ والنسيان ودخل فيها التحريف والتغيير وذلك مما يوجب الشك بها وعدم الاعتماد عليها في أخذ الأحكام .

الـــرد :

الجواب على هذا : هو ان تحرز بعضهم عن التحديث أو النهي عنه فذلك من شدة الاحتياط في الدين أن يذكروا عن رسولهم ما قد يخطئون فيه كما صرح بذلك الزبير ، أما من كان قوى الذاكرة فقد حدث بلا حرج ، كابن عباس وابن مسعود ، على أن الأخبار عن كتابة الصحابة والتابعين للحديث متواترة تواتراً معنـــوياً لا مجال لطالب الحـــق معه أن ينكرها أو يتشكك فيها .

أما القول بأن السنة قد تأخر تدوينها فزالت الثقة بضبطها وأصبحت مجالاً للظن والشك ، والظن لا يجوز في دين الله ــ فهذا قول من لم يقف على جهود العلماء في مكافحة التحريف والوضع والكذب .

« وإذا كانت السنة قد نقلت بالضبط والحفظ غالباً والكتابة أحياناً من عصر الصحابة إلى نهاية القرن الأول حيث دون الزهري السنة بأمر عمر

١ ــ السنة ومكانتها ١٦٠ ، ١٧٩ والاحكام للآمدى ١٦٩/١

ابن عبد العزيز وكانت سلسلة الحفظ والضبط والصيانة متصلة — لم يتطرق إليها الانقطاع فلا يصح أن يتطرق إليها الشك — .

وأما ما دس على السنة من كذب فقد تصدى له العلماء وبينوه بما لا يترك مجالا للشك ، حتى أن النفس لتطمئن إلى السنة إلى حد يكاد يصل إلى درجة اليقين »(١) .

ويرى الأستاذ « أحمد حسين المحامي » أن المستشرقين في نظرتهم إلى القرآن والحديث النبوي يقيسون تدوين السنة النبوية بصياغة التعاليم المسيحية التي بدأ تدوينها أو (وضعها) على الأصح ابتداء من القرن الرابع الميلادي حيث لا المسيح ولا تلامذته ولا الأناجيل ولا يونس نفسه قد صاغ التعاليم المسيحية التي تمارس بها الآن . وإنما وضعتها المجامع المسيحية التي بدأت في القرن الرابع الميلادي — كما أسلفنا — بعد أن أصبحت المسيحية هي الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية وذلك لتحدد عناصر العقيدة وتصدر القرارات ضد مخالفيها(٢) .

الشبهة السادسة :

قالوا : قد ورد من النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على عدم حجية السنة من ذلك (أن الحديث سيفشو عني فما آتاكم يوافق القرآن فهو عني وما آتاكم عني يخالف القرآن فليس مني) .

فإذا كان ما روى من السنة قد أثبت حكماً شرعياً جديداً كان ذلك غير موافق للقرآن ، وإن لم يثبت حكماً جديداً كان لمحض التأكيد والحجة هو القرآن .

الـــرد :

والجواب على هذا : هو أن هذا الحديث رواه خالد بن أبي كريمة عن أبي جعفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد مجهول وأبو جعفر ليس صحابي ، فالحديث منقطع .

---

١ ـ السنة ومكانتها ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ٢ ـ مفتريات على الاسلام ص ٣٨

وقال الشافعي (ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير ، وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء) .

وقال البيهقي (والحديث الذي روى في عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن)(١) .

لقد اتفق أكثر منكري السنة بالأدلة التي ذكرناها وبالحجج التي أوردناها والاتجاه الذي أوضحناه من ترك الاحتجاج بالسنة النبوية لكن منكري السنة قديماً وحديثاً ما عدا أهل القرآن(٢) كانوا يأخذون بالسنة العملية المتواترة كالصلاة والزكاة والحج وما شاكل ذلك من الأمور التي تناقلها المسلمون جيلا بعد جيل عملياً ولكن ذهب أهل القرآن إلى أبعد من ذلك فأنكروا حتى هذا الجزء المتواتر العملي من الإسلام .

---

١ ـ مفتاح الجنة ص ٦ـ١٥

٢ ـ أهل القرآن من اشد منكرى السنة وهم فرقة بباكستان يسمون بالقرآنيين ، وكان منهم الدكتور توفيق صدقي لكنه رجع اخيرا عن آرائه كما ذكر ذلك الدكتور السباعي ٠

الفصل الثانى

(شبهات فرقة أهل القرآن)

وأما شبهات أهل القرآن فنوجزها فيما يلي مقترنة بالرد عليها .

الشبهة الاولى :

قالوا حسبنا كتاب الله لأنه تكفل بذكر الأمور الدينية كلها بالشرح والتفصيل ، فلم يبق للمسلمين حاجة إلى السنة كمصدر للتشريع وأخذ الأحكام منها . يقول عبد الله جكرالوي (إن الكتاب المجيد ذكر كل شيء يحتاج إليه في الدين مفصلا ومشروحاً من كل وجه ، فما الداعي إلى الوحي الخفي وما الحاجة إلى السنة)(١) .

ويقول : (كتاب الله كامل مفصل لا يحتاج إلى الشرح ولا إلى تفسير محمد صلى الله عليه وسلم وتوضيحه إياه أو التعليم العملي بمقتضاه)(٢) .

ويقول الحافظ أسلم في المعنى نفسه ما نصه (قد انحصرت ضروريات الدين في اتباع القرآن المفصل ولا تتعداه)(٣) .

الـــرد :

لا شك أن القرآن حوى أصول الدين وقواعد الأحكام العامة ونص على بعض جزئياتها اليسيرة وأما ما يدعيه هؤلاء من تنصيصه على كل صغيرة وكبيرة فهو ادعاء لا يقره واقع القرآن فلو كان الأمر كما يقولون فأين عدد الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة فضلا عن عدد الركعات لكل

---

١ ـ فرقة أهل القرآن ص ٨٨

٢ ـ و (٣) مقام حديث ١٤٣

فريضة وأين نصاب الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة . . بل خول بيان هذه الجزئيات إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو كان القرآن مشتملا على كل التفاصيل والجزئيات التي يحتاج إليها في الدين – كما يزعم هؤلاء – لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بتبيينه للناس ولما أمر المسلمين بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بامتثال ما يأمرهم واجتناب ما ينهاهم عنه . وفي هذا المقام يقول الدكتور السباعي بحق (إن الله لم ينص في الكتاب على كل جزئية من جزئيات الشريعة وإنما بين أصول الشريعة ومصادرها وقواعدها ومبادئها العامة . ومن الأصول التي بينها العمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى :

« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا »(١) .

ولعل الذي أوقعهم في اللبس هو فهمهم الخاطيء لقوله تعالى :

« وَلَكِن تَصْدِيقَ الذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كلِّ شَيْء »(٢) .

ففهموا من التفصيل القرآني ما يفهمون منه في لغتهم الأردية فالتفصيل والتفصيلات في الأردية يأتي بمعنى (تعيين الجزئيات) غير أن مادة (ف – ص – ل) لم ترد بهذا المعنى في لغة الضاد وإنما معناها الإبانة والتنحية والتوضيح لأن التفصيل ضد الإجمال)(٣) .

قال الراغب (الفصل : إبانة أحد الشيئين عن الآخر)(٤) فاحلال التفصيل الأردي مكان التفصيل العربي هو أساس الخطاء الذي وقعوا فيه .

---

١ ـ الحشر الاية ـ ٧ ـ دفاع عن الحديث النبوى ص ١٠٢
٢ ـ يوسف الاية ـ ١١١
٣ ـ فرقة اهل القرآن ص ٩١
٤ ـ المفردات فى غريب القرآن ص ٣٨١

وبناء على ما تقدم يتضح بأن التفصيل المقصود في الآية هو شمول القرآن بكل الأصول الشرعية دون تعيين جزئياتها بذكر كل صغيرة وكبيرة في المعاش والمعاد .

الشبهة الثانية

قالوا إن السنة لم تكن وحياً من الله وإنما هي أقوال نسبها الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وتزييفاً دون أن يكون للايحاء يد في صدورها منه صلى الله عليه وسلم وأنه لم ينزل عليه شيء من الوحي سوى ما حواه القرآن ، يقول عبد الله : « إنا لم نؤمر إلا باتباع ما أنزل الله بالوحي ولو فرضنا جدلا صحة نسبة بعض الأحاديث بطريق قطعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإنها مع صحة نسبتها لا تكون واجبة الاتباع لأنها ليست بوحي منزل من الله عز وجل »(١) .

ومثل هذا القول يقول الحافظ أسلم (٢) .

وقال الخواجه أحمد الدين (إن الأصل الذي لا يتغير ولا يتبدل هو الوحي الإلهي فحسب وهل أمرنا بالبحث عن هذا الوحي الإلهي في التوراة أو الإنجيل . . أو البخاري ومسلم أو الترمذي وأبي داود وابن ماجة . . أو مسانيد أئمة أخرى . .)(٣) .

الـــرد

كيف لم تكن السنة وحياً من الله ، والله تعالى يقول :

« وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى ٭ إنْ هُوَ إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى »(٤) .

---

١ ـ فرقة أهل القرآن ص ٩١ ٢ ـ مقام حديث ص ١٣٩

٣ ـ فرقة أهل القرآن ص ٩٢

٤ ـ النجم ـ الآية ـ ٣ ، ٤ ـ يقول القرطبي « فيها دلالة على ان السنة كالوحي المنزل من الله » الجامع لأحكام القرآن (٧/٦٢٥٥)

ويقول عليه الصلاة والسلام :

(إلا إني أوتيت القرآن ومثله معه)(١) .

ثم إن الله يقول مبيناً حقيقة مقام الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ دينه :

« وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقاويل*لأخَذنَا مِنْهُ باليمين * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِين* فَمَا مِنكُم مِن أَحَدٍ عَنْهُ حاجزين »(٢)

تفيد الآية أن الرسول صلى الله عليه وسلم لو تكلف القول وافترى على الله ــ حاشاه أن يفعل ذلك ــ غير ما أخبر الله به فإن المنية تخترقه في حينه وأن مغبة مثل هذا العمل قاسية وأليمة لا تحمد عقباها ، فهل يتصور منه بعد هذا الانذار والوعيد الشديدين لهذا النبي الأمي عليه السلام أن يصدر منه تحليل أو تحريم أو تفصيل في الدين مبناه الهوى والنفس الأمارة بالسوء فضلا عن أنه الصادق الأمين . إذن لا تصدر حركاته وسكناته وأقاويله التشريعية إلا موافقه للإرادة الإلهية وعلى هذا فالسنة وحي من الله وأخبار منه بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال السيد رشيد رضا : (لا شك في أن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه من بيان الدين داخل في عموم ما أنزل الله إلينا على لسانه . . فإنه تعالى أمرنا باتباعه وطاعته وأخبرنا أنه مبلغ عنه وقال له :

« وأنزَلْنَا إليْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للنّاسِ ما نُزِّلَ إليْهِم » .

والجمهور على أن الأحكام الشرعية الواردة في السنة موحى بها وأن الوحي ليس مقصوراً في القرآن)(٣) .

---

١ ــ رواه ابوداؤد عن المقداد (٥/ ١٠)

٢ ــ الحاقة ــ الآيات ــ ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

٣ ــ تفسير المنار (٨/ ٣٠٨)

ويعلل ذلك بقوله (لذلك أوجز القرآن في بيانه أحكام الدين العملية ووكل بيانها لعمل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أحال في بيانها على العمل .

(ولعل الذي أوقع هؤلاء في هذه الشبهة هو عدم فهمهم لحقيقة الوحي في السنة ، حيث ظنوا طريقة الوحي فيها مثل طريقة وحي القرآن من نزول الملك به فحفظه وتسجيله ثم روايته تواتراً وعدم إتيان البشر بمثله ، فخفاء الفرق بين الوحيين أوقعهم في هذا اللبس)(١) .

فوحي القرآن يختلف عن وحي السنة ، إذ أن وحي السنة في المرتبة الثانية بعد القرآن فلم يتوسط جبريل في نقل كل جزئية من جزئياتها كما هو الحال في القرآن ومن هنا جاء وحي السنة أعم وصولا إلى النبي صلى ا لله عليه وسلم من إيحاء القرآن وقد كان يأتيه في صور متعددة من الإلهام والقذف والرؤيا في المنام ومن وراء حجاب أو بوساطة ملك الوحي ، وقد ذكر الله هذه الأنواع وأشار إلى أنها طريق تكليم الله لعباده قال تعالى :

« وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً »(٢) .

ووحي السنة لم يتجاوز مفهوم هذه الآية ولم يتعداه لذا يقول الشيخ المودودي عقب هذه الآية (ظهر أن القرآن اشتمل على نوع واحد من أنواع الوحي والصورتان الأخيرتان للوحي المذكور في الآية أيضاً مما كان يستمد منهما الرسول صلى الله عليه وسلم الهداية والإرشاد وقد أظهرت لنا الآية ذلك)(٣) .

---

١ ــ فرقة أهل القرآن ص ٩٥
٢ ــ الشورى ــ الآية ٥١ ، انظر فرقة أهل القرآن ص ٥١ وما بعدها
٣ ــ سنت كى آئينى حيثيت ص ١٠٢

الشبهة الثالثة

وللقوم شبهة أخرى مفادها أن اتباع السنة والقضاء بوفقها يؤدي إلى الاشتراك في الحكم وقد نهى القرآن عنه :

« إنِ الحُكْمُ إلاَّ لله »(١) .

يقول صاحب افتراء تعامل (العض على أقوال الرسل وأفعالهم وتقريراتهم مع وجود كتاب الله علة قديمة قدم الزمن وقد برأ الله رسله وأنبياءه من هذه الأحاديث بل جعل تلك الأحاديث كفراً وشركاً)(٢) .

ويقول الخواجه أحمد الدين في شرح هذه الشبهة ما نصه (قد وضع الناس لإحياء الشرك طرقاً متعددة فقالوا إنا نؤمن أن الله هو الأصل المطاع غير أن الله أمرنا باتباع رسوله ، فهو اتباع مضاف إلى الأصل المطاع وبناء على هذا الدليل الفاسد يصححون جميع أنواع الشرك ، فهل يصبح الأجنبي زوجاً لمتزوجة يقول زوجها إنها زوجته الا ان الله لم يأمر بمثل ذلك :

« إنِ الحُكْمُ إلاَّ لله »(٣) .

الـــرد

ما أقبح هذه الحجة وما أبعد هذا الاستدلال وهل الله تعالى بعث رسله لإحياء الشرك أم لمحوه وهل اتباع السنة والحكم بوفقها إلا اتباع وتطبيق لأحكام القرآن قال تعالى :

« فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً »(٤) .

---

١ ـ الانعام ـ الآية ٥٧
٢ ـ فرقة أهل القرآن ص ٩٦
٣ ـ المصدر السابق ص ٩٧
٤ ـ النساء ـ الآية ٦٥

يقسم الرب جل وعلا في هذه الآية بذاته بأن لن يذوق أحد طعم الإيمان ما لم يرض بقضائك يا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم لا يشعر المتحاكمون إليك بحرج أو ضيق في أنفسهم بما قضيت فيهم . فهل يؤدي حكمه بعد هذا الخبر الإلهي في القضاء وفصل الخصومات إلى الشرك بل حكمه عين التوحيد وامتثال للأحكام الإلهية بل هو حكم الله تعالى :

ولو اقتضت الإرادة الإلهية عدم التحاكم إلى السنة كما يزعم هؤلاء لما صح مجيء كاف الخطاب في قوله (يحكموك) ولما جاءت تاء الخطاب في (قضيت) للتنصيص على ذلك . وقد تكرر هذا المفهوم في آيات متعددة من القرآن الكريم بل علقت بعض الآيات الهداية والفلاح والإيمان بالتسليم لحكمه وطاعته عليه السلام . قال تعالى :

« وإن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا »(1) .

وقال :

« إنما كانَ قَوْلَ المؤْمِنِينَ إذا دُعُوا إلى اللهِ ورَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم أن يَقُولوا سَمِعْنَا وأَطَعْنَا وأولئِكَ هُمُ المُفْلِحُون »(2) .

ويقول في آية أخرى محذراً من مغبة عدم اتباعه عليه السلام نافياً الإيمان عن أولئك :

« ويَقُولُونَ آمَنَّا باللهِ وبالرَّسولِ وأَطَعْنَا ثمَّ يَتَولى فَرِيقٌ مِنْهُم مِن بَعْدِ ذَلكَ وما أُولئِك بالمُؤْمِنِين »(3) .

وأما استدلالهم بقوله :

« إنِ الحُكْمُ إلاَّ للهِ »

---

1 ـ النور ٥٤

2 ـ النور ـ الآية ٥١

3 ـ النور ـ الآية ٤٧

لإخراج السنة عن كونها حكماً إلهياً فهو استدلال في غير محله . لأن هذه الجملة القرآنية وردت في ثلاثة مواضع من كتاب الله ، ففي الأنعام جاءت رداً على طلب الكفار من النبي صلى الله عليه وسلم إنزال الآيات والإسراع بها ، فرد الله على هذا الطلب موضحاً أن ذلك مرجعه إلى الله لا إلى رسوله ، وأن الله هو المتفرد في هذه الشئون لا شريك له فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل قال تعالى :

« قُلْ إنّي على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّي وكذَّبْتُم بِهِ ما عِندي ما تَسْتَعْجلون بِهِ إن الحُكْمُ إلاَّ للهِ يَقُصُّ الحَقَّ وهُوَ خَيْرُ الفاصِلِين »(١) .

والموضعان الأخيران في سورة يوسف ، أولهما حكاية عن قول يوسف لصاحبه في السجن ونصحه له بترك الشرك وأن عبادة الأوثان افتراء واختلاق على الله وأن الله هو المتفرد في الحكم والعبادة ، قال تعالى :

« ما تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إلاَّ أسْماءً سَمَّيْتُمُوها أنتُمْ وآباؤُكم ما أنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إنِ الحُكْمُ إلاَّ للهِ أمَرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيّاهُ »(٢) .

والموضع الأخير جاء حكاية عن قول يعقوب عليه السلام ينصح أبناءه ويعلمهم آداب الدخول على الملوك وأنه إن وقع لهم ما يكرهون في الحياة فهو قضاء وقدر .

« وانّهُ لا يمْلُكُ لَهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً » .

وأن هذا لهو مسلك عباد الله الصالحين قال تعالى :

« وقَالَ يا بنيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وادْخُلُوا مِنْ أبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وما أُغْني عَنكُم مِنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إن الحُكْمُ إلاَّ لله »(٣)، (٤) .

---

١ ــ الانعام ــ ٥٧ | ٢ ــ يوسف ــ ٤٠
٣ ــ يوسف ــ ٦٧ | ٤ ــ فرقة أهل القرآن ص ٩٨ ، ٩٩

والمواضع الثلاثة – كما ترى – لا تشير إلى ما ذهب إليه هؤلاء بل إنها تأمر العبد بالرضاء بما قدره الله له أو عليه وأن الله هو المتفرد في حكمه ، وهذا لا يتنافى مع الاحتكام إلى السنة ولا يوصل من حكم بها أو تحاكم إليها إلى دائرة الشرك بل هو عين التوحيد لأن الحكم بالسنة مستمد من الله بوساطة رسوله صلى الله عليه وسلم فالحكم بها في الحقيقة والواقع حكم لله المتفرد في شئون خلقه ، قال تعالى :

« من يُطع الرّسُولَ فقدْ أطاعَ الله »(١) .

وإنما كان يصح الاستدلال بهذه الآية إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحكم ويأمر من عند نفسه وحسب هواه – وحاشاه ذلك – أما أنه لا ينطق عن الهوى وإنما يأمر بما أمره الله فإن الاستدلال بهذه الآية لا يستقيم ، قال تعالى :

« قُلْ إنّما أتّبعُ ما يُوحى إليّ مِن ربّي »(٢) .

الشبهة الرابعة

قالوا إن السنة لم تكن شرعاً عند النبي صلى الله عليه وسلم وفهمها الصحابة على هذا المنوال لذا نهوا عن كتابتها وقد تحدث برويز عن ذلك بقوله (لو كانت السنة جزءاً من الدين لوضع لها الرسول صلى الله عليه وسلم منهجاً كنهج القرآن من الكتابة والحفظ والمذاكرة ولا يفارق الدنيا إلا بعد راحة بال على هذا الجزء من الدين لأن مقام النبوة يقتضي أن يعطي الدين لأمته على شكل محفوظ لكنه صلى الله عليه وسلم احتاط بكل الوسائل الممكنة لكتاب الله ولم يفعل شيئاً لسنته بل نهى عن كتابتها : (لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)(٣) .

---

١ – سورة النساء الآية ٨٠

٢ – سورة الاعراف الآية ٢٠٣

٣ – رواه مسلم ولفظه (لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه) انظر مسلم مع شرح النووى (١٨/١٢٩)

ويقول الحافظ أسلم (الأمر الذي لا مراء فيه أن الصحابة قد أدركوا حقيقة نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة سنته وعرفوا أن الأمم السابقة لم تضل إلا بسبب كتابة روايات أنبيائها)(١) .

ويضيف فيقول (الشيء الملفت للنظر هو أن الأحاديث لو كانت لها الصفة الدينية لما اشتد نهي النبي – صلى الله عليه وسلم صحابته عن كتابتها ولهيأوا السبل لحفظها وتدوينها)(٢) .

ويحذر صاحب (بلاغ الحق) العلماء من الجهر بالسنة فيقول : (إياكم وإعلان الأحاديث على المنابر وإن أبيتم فسيدخل إلى دين الله ما ليس منه وينضاف إلى شرع الله ما لا يجوز إضافته إليه)(٣) .

الـــرد :

أقول أما أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة السنة فإنه ثبت أنه قد أذن بكتابتها أيضاً وذكر النهي دون الإذن مخالف للأمانة العلمية وسنذكر في باب (اعتراضات منكري السنة) طرق الجمع بين هذا النهى والإذن. وأن الإذن ناسخ للنهي .

على أن مدى حرص النبي صلى الله عليه وسلم هو تعليم صحابته وإفهامهم أمور دينهم باللسان والعمل ، ثم إن حياته العملية أكبر حافز للعض على سنته والأخذ بها في جميع شئون الحياة .

فلو لم تكن السنة عند النبي صلى الله عليه وسلم ديناً وشرعاً – كما يزعم هؤلاء – لما اعتنى بها هـــذا الاعتناء ولمـــا سلك لإشاعتها ونشرها كل الوسائل الممكنة له آنذاك ولما أمرهم بالحفظ والتبليغ ، مثل قوله (احفظوه وأخبروه من ورائكم)(٤) .

---

١ ـ مقام حديث ص ١٠٤ ٢ ـ مقام حديث ص ١١٠
٣ ـ انظر فرقة أهل القرآن ص ١٠١ ـ وقد ذكر هذه الشبهة بالتفصيل.
٤ ـ الحديث رواه البخارى (١/ ٣٠)

وقوله صلى الله عليه وسلم :

(صلوا كما رأيتموني أصلي)(١) .

وقوله :

(خذوا عني مناسككم)(٢) .

وقوله :

(ليبلغ الشاهد الغائب)(٣) .

فلو لم تكن السنة شرعاً وديناً لما حرص الصحابة والتابعون على حفظها ولما ضربوا أكباد الإبل لسماعها وحفظها وتدوينها وجمعها يقول أنس رضي الله عنه (كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم نسمع منه الحديث فإذا قمنا تتذاكره فيما بيننا حتى نحفظه)(٤) ويقول أبو هريرة (إني لأجزيء الليل ثلاثة أجزاء فثلث أنام وثلث أقوم وثلث أتذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) وهذا سعيد بن المسيب يقول (كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد) وقيل للشعبي (من أين لك هذا العلم كله قال بنفي الاعتماد والسير في البلاد وصبر كصبر الجماد وبكور كبكور الغراب)(٦) .

فلو لم تكن السنة شرعاً وديناً لما حرصوا عليها هذا الحرص ولما تحملوا مشاق السفر في سبيلها ولما أصبحت جزءاً من حياتهم اليومية ولما قال عليه الصلاة والسلام (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)(٧).

---

١ ـ الحديث رواه البخارى (١٥٥/١)

٢ ـ و (٣) سبق تخريجهما

٤ ـ رواه الخطيب فى الجامع لاخلاق الراوى ، انظر أصول الحديث لمحمد عجاج الخطيب ص ٦٧

٥ ـ رواه الدارمى فى سننه (٨٢/١)

٦ ـ البداية والنهاية (١٠٠/٩)

٧ ـ رواه ابوداؤد (١٣/٥) وابن ماجة (١٦/١) والدارمى (٤٣/١) واحمد (١٢٦/٤ ، ١٢٧) كلهم عن العرباض بن سارية ورواه الترمذى (٤٣٨/٧) وقال حسن صحيح .

كيف لا تكون السنة شرعاً وديناً وعليها قوام بناء الدين ، وكفاها فخراً أن يجعلها رب العزة والجلال طريق الوصول إليه لمن أراد غفرانه وجنته :

« لَقَدْ كانَ لكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كان يرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخرَ »(١) .

وأما ما استدلوا به من أن نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة دليل على عدم حجيتها فهو استدلال لا ينهض لأن عدم الكتابة ليس دليلا على عدم حجيتها وإخراجها من مصدر التشريع لأن المكتوب في حد ذاته لا يكون حجة حتى يقوم الدليل على صدق نسبته إلى كاتبه بيد أن تشكيل المجتمع على السنة العملية أقوى حجة وأكثر ضماناً من المكتوب في الكراريس دون نزوله إلى محيط العمل لذا يقول الأستاذ المودودي (ترك النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعاً متكاملا على سنته والذي نقل كل حركة من حركاته بختم هدايته عليه السلام وكان هذا المجتمع يحوي ألوفاً من البشر ممن سمع أقواله وشاهد أفعاله وتربى في كنف هدايته عليه السلام فنقل هؤلاء كل النقوش إلى من بعدهم نسلا بعد نسل حتى وصلت إلينا)(٢) .

ثم لا يخفى على المطلع البصير أن ما ورد من النهي إنما كان عن كتابة الحديث رسمياً كالقرآن أما أن يكتب الكاتب لنفسه فقد ثبت وقوعه وإقراره عليه الصلاة والسلام على ذلك كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص في مسند أحمد(٣) أن بعض الصحابة اشتكوا سوء حفظهم لما يسمعون منه عليه السلام فقالوا (إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها قال بلى فاكتبوها) .

---

١ ـ الاحزاب ـ ٢١
٣ ـ سنت كى آئينى حيثيت ص ١٦٠
٢ ـ ٢/٢١٥

وكان هذا آخر الأمرين من كتابة أقواله عليه السلام(١) .

وأما ما زعمه من أن تدوين أقوال الأنبياء كان سبباً لضلال الأمم السابقة وقياس هذه الأمة عليها فهو أمر مرفوض يحمل في طياته الغش والتمويه لأن هناك فرقاً أساسياً بين ما دون من أقوال الأنبياء السابقين وبين ما دون من سنته صلى الله عليه وسلم فأقوال السابقين لم تدون بالسند وتسلسل الرواة في نقلها حتى عهد التدوين في الكتب فضلا عن معرفة سيرة هؤلاء الناقلين بينما أقوال سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام نقلت بالتسلسل جيلا عن جيل وامتازت الأمة المحمدية بميزة الإسناد التي لم تمتز بها أمة قبلها ثم عرضت سير الناقلين على أصول معتمدة لقبول السنة واعترف بهذا الواقع أعداء الإسلام وخصومه .

يقول الدكتور سبرنجر مشيراً إلى العناية الإسلامية بعلم الرجال (اختص المسلمون بتسجيل خمسمائة ألف شخص من قدمائهم وضبط سيرتهم وأحوالهم في تاريخهم المعتمد القويم)(٢) .

الشبهة الخامسة

قالوا (إن طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – كانت طاعة مقيدة بزمنه ، وامتثال أحكامه لا يتجاوز حياته ، وقد أوصد هذا الباب منذ وفاته عليه السلام)(٣) .

ويشرح صاحب « تبليغ القرآن » هذه الشبهة بقوله (لقد كانت إرشاداته صلى الله عليه وسلم تصدر وفق ظروف أصحابه ولو كنا موجودين في تلك

---

١ – انظر السنة الاسلامية ص ٣٧ للدكتور رؤوف شلبي
٢ – مقام حديث ص ١٣٠
٣ – فرقة أهل القرآن ص ١٠٧ قاله الخواجه

الآونة لوجب علينا اتباع أقواله وإرشاداته عليه السلام . . كما أن خطاب القرآن عام عندنا غير أن المخاطبين بالأحاديث أمة خاصة وهم العرب)(١) .

الـــرد

هذه دعوى جديدة لا أصل لها إلا خيال كاتبها وإلا فمن أين لهم أن طاعته عليه السلام كانت مقيدة بزمنه ، أليس الله قد أرسل رسوله للناس كافـــة :

« **قُلْ يا أَيُّها النّاسُ إني رَسُولُ اللهِ إليكُم جَميعاً** »(٢) .

مع أن العديد من آيات القرآن فيها خطاب خاص لمشركي العرب الذين أقاموا الحواجز في طريق الدعوة فأصدر أحكاماً في أولئك الصادين حسب مسلكهم الخاص ولا تنحصر تلك الأحكام بإجماع في أولئك الأفراد بل تتجاوز إلى من يماثلهم في تصرفاتهم العوجاء . فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . كما هو معروف في الأصول .

فإذا كان حكم آيات القرآن لا يختص بزمن ولا بأشخاص معدودين فكذلك السنة إذ لا فرق بين أحكام الكتاب وأحكام السنة لصدورها من مصدر واحد لذا كان الإيمان بمحمد رسول الله هو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، ثم ما هو الدليل على هذا التفريق بين القرآن والسنة حتى صار خطاب القرآن عاماً وخطاب السنة خاصاً بأمة العرب ؟ .

ولو كانت سنته عليه السلام خاصة بأولئك الأفراد ففيم يكون تصديقه بعد وفاته وفيم يكون اتباعه لجلب المحبة الربانية المنصوص عليها في قوله :

« **قُلْ إن كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُم الله** »(٣) .

---

١ ـ فرقة أهل القرآن ص ١٠٧ ٢ ـ الاعراف ١٥٨
٣ ـ آل عمران ـ ٣١

لذا اتفق المسلمون على أن خطاب القرآن والسنة وأحكامهما عامان شاملان لا يختصان بأمة ولا بزمن لأن عموم خطاب القرآن مستلزم لعموم خطاب السنة :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً »(١) .

وتخصيص أوامره عليه السلام وإرشاداته محدودة أو بزمن معين تخصيص بغير مخصص لا يستند إلى دليل ، لذا يقول الأستاذ المودودي (لا فرق بين هداية القرآن وهداية المصطفي عليه السلام فإن كانتا مؤقتتين ومحدودتين فهما معاً وإن كانتا دائمتين وعالميتين فهما معاً)(٢) .

الشبهة السادسة

قالوا إن السنة قد انتقدت متناً وسنداً وأن المحدثين تكلموا في رجالها ومتونها وما كان كذلك و دخله النقد وآراء الرجال لا يصلح ديناً، كما أن الإسلام لم يجرؤ أعداؤه على توجيه الاتهام إليه إلا عن طريق الأحاديث التي أقر المسلمون بصحتها لكن الإسلام بريء منها ، يقول الحافظ أسلم (إن الإحاديث قد انتقدت علمياً ما أفقدها صفة التدين لأن الأمور الدينية ما يدخلها النقد وآراء الرجال) (٣) ويضيف فيقول (الإعتراضات الموجهة للإسلام من غير أهله لا تأتي إلا من الأحاديث التي أقر المسلمون بصحتها وهي موضوعة الأصل لا صلة لها بالدين)(٤) .

الرد

إن الرجل يفوه بما لا يعرف وهو في شدة حقده على السنة والطعن فيها لا يبحث عن موضع يظن به الضعف بل يطعن فيها هكذا خبط عشواء وهيهات أن يصدع إلا رأسه إنه يجهل أو يتجاهل تاريخ الإسلام وجهود العلماء

---

١ ـ سبأ ـ ٢٨
٢ ـ سنت كى آئينى حيثيت ص ٣٣٤
٣ ـ فرقة أهل القرآن ص ١٠٩ ومقام حديث ص ١٥٤
٤ ـ فرقة أهل القرآن ص ١٠٩ ومقام حديث ص ١٥٤

المحدثين لمقاومة حركة الوضع فهو بدل ما يعترف للمحدثين بفضلهم وجهدهم في سبيل خدمة السنة يتهمهم بأنهم أقروا بصحة الأحاديث وهي موضوعة الأصل ولا صلة لها بالدين وأن الإسلام بريء منها .

إن الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة أجل وأسمى من أن يخوضوا في الكذب والوضع وهم رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :
(من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)(١) .

إننا نعترف أن حركة الوضع في الحديث بدأت في وقت مبكر وأن الخلافات السياسية والكلامية ــ ولا سيما ــ بين على ومعاوية رضي الله عنهما ــ كانت من العوامل الرئيسية في حركة الوضع تلك إذ أخذ بعض أصحاب معاوية يضعون الأحاديث في مثالب علي وينشرونها بين الناس وقد قابلهم بمثلها جهلة أصحاب علي رضي الله عنه دون علم علي ومعاوية رضى الله عنهما كما أن ظهور أرباب الكلام من القدرية والمرجئة والجهمية . . والمناقشات الحادة بينها هيأت الأجواء المناسبة للوضع بذم بعضهم بعضاً .

لكن حركة الوضع هذه لا يمكن أن نجعلها دليلا على أن السنة كلها موضوعة الأصل وأنها لا تصلح أن تكون ديناً عاماً .

هذه بعض شبهات فرقة أهل القرآن ومزاعمهم قد ذكرنا أشهرها وفندناها ولا تكفي هذه العجالة لنستوفي جميع شبهاتهم وهي في الحقيقة أباطيل وأضاليل، نسأل الله الهداية والرشاد **(ومن يضلل الله فلا هادى له)**

---

١ ــ رواه البخارى انظر الفتح (١/٢٠٠) ومسلم مع النووى (١/٦٧) وسيأتى تخريجه مفصلا فى ص (١٧٥) .

الباب الخامس

(اعتراضات من منكري السّنة)

وقد وجه هؤلاء جملة اعتّراضات وانتقادات بعضها على السنة وتدوينها وكتابتها ، وأخرى على رواتّها ورجالها ، وها هي بعضها مقرونة بالـرد عليها :

١ – قالوا : هناك أحاديث وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها المنع عن كتابة الحديث كما وردت أحاديث أخرى فيها تصريح بكتابة الحديث ، وهذا تعارض .

وللجواب على هذا نقول :

ان كل من نقل عنه كراهية كتابة الحديث فقد نقل عنه عكس ذلك أيضاً – ما عدا شخص أو شخصين – وقد ثبت كتابتهم أو الكتابة عنهم ومن أشهر الصحابة الذين اشتهرت عنهم أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها كراهة كتابة العلم : (أبو سعيد الخدري وابن عباس وأبي هريرة وزيد بن ثابت رضي الله عنهم) .

أما حديث أبي سعيد فقد رده مسلم بلفظ (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) (١) وهذا أصح ما روي في هذا الباب .

---

١ – صحيح مسلم بشرح النووى (١٢٩/١٨) وجامع بيان العلم وفضله (٦٣/١)

وأما حديث ابن عباس وحديث أبي هريرة وحديث زيد بن ثابت فكلها متكلم في أسانيدها ولم تأت بطرق مقبولة يعتمد عليها .

وأما حديث أبي سعيد ـ الذي عند مسلم ـ فقد اختلف العلماء في رفعه ووقفه ، قال الحافظ (ومنهم من أعل حديث أبي سعيد وقال : الصواب وقفه قاله البخاري وغيره (١) وغلط بعض الرواة فجعله عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد أورد ابن عبد البر في كتاب العلم (٢) قريباً من معناه موقوفاً على أبي سعيد من طرق لم يذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

وبعد التسليم انها مرفوعة اختلفوا في توجيهها وأهمها قولان : (٣)

١ ـ ان أحاديث النهي منسوخة بالأحاديث الأخرى التي تبيح كتابة الأحاديث ويجب ألا ننسى بأن هناك حديث واحد صحيح لا غير الذي ينهى عن كتابة الأحاديث علماً بأن فيه الاختلاف أيضاً ـ كما رأينا آنفاً ـ في رفعه ووقفه .

٢ ـ ان النهي كان خاصاً بكتابة غير القرآن مع القرآن على ورق واحد خشية الالتباس بينهما (٤) . وهذا التوجيه الثاني أوجه لإملاء النبي صلى الله عليه وسلم على عدد من الصحابة ، ولكتابة الصحابة الأحاديث التي بلغت درجة التواتر وإليك نماذج منها :

١ ـ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال (كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش . فقالوا انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه

---

١ ـ فتح البارى (١/١٨٥)
٢ ـ (١/٦٤)
٣ ـ ذكر السباعى عدة اوجه للتوفيق ـ انظر السنة ومكانتها ص(٦١)
٤ ـ تأويل مختلف الحديث ص ٢٨٦ ، دراسات فى الحديث النبوى ٧٨ ـ ٧٩

وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فأومأ بأصبعه إلى فيه) فقال :

(اكتب فو الذي نفسي بيده ، ما خرج منه إلا حق) (١) .

٢ – ويشهد أبو هريرة على كتابته قائلا (ما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أكثر مني حديثاً عنه إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب) (٢) .

٣ – لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب خطبته . . فقال أبو شاة – رجل من اليمن : اكتبوا لي يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(اكتبوا لأبي شاة) (٣) .

٤ – وعن أبي الطفيل قال : سأل علي رضي الله عنه هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ؟ فقال ما خصنا إلا ما كان في قراب سيفي هذا فأخرج صحيفة مكتوب فيها :

(لعن الله من ذبح لغير الله) (٤) .

٥ – وعن رافع بن خديج قال : قلنا يا رسول الله : (انا نسمع منك أشياء فنكتبها ، قال :

(اكتبوا ولا حرج) .

---

١ – مسند احمد ١٢/٢ – ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ وابوداود ٦٠/٤ ، ٦١ والحاكم ١٠٦/١ وزاد عن عمر (قيدوا العلم بالكتاب) تقييد العلم بطرق كثيرة ٧٤ ، ٨٣ جامع بيان العلم ٧١/١ وسنن الدارمى ١٢٥/١ – ١٢٦ وبين القوسين زيادة له .

٢ – رواه البخارى ٢٠٦/١ والدارمى ١٢٥/١ مسند احمد ٢٤٨/٢

٣ – رواه البخارى ٢٠٥/١ الفتح ، والامام احمد ٢٣٢/٢ – ٢٣٨ – جامع بيان العلم ٧٠/١ وتقييد العلم ص ٨٦

٤ – مسند احمد ١١٨/١ – ١٥٣

وذكرت روايات أخرى في هذا المعنى في المجمع (١) .

٢ ـ قالوا : ان السلف اهتموا بالأسانيد وحبسوا نشاطهم في وزن رجالها ولم يهتموا بالمتون أو يصرفوا جهداً مذكوراً في تمحيصها . . (٢) .

قلنا : هذا خطأ فإن الإهتمام بالسند لم يقصد لذاته وإنما قصد منه الحكم على المتن نفسه ، ثم ان صحة الحديث لا تجيء من عدالة رواته فحسب بل أيضاً تجيء من انسجامه مع ما يثبت يقيناً من حقائق الدين الأخرى .

ثم كيف يتفق زعمهم هذا ـ مع ما ذهبوا إليه من الحكم على متن الحديث بالشذوذ والنكارة والاضطراب والتعليل والوضع والاختلاق وما وضعوه من أمارات يستدل بها على الحديث بالوضع .

لقد جعلوا من أمارات الموضوع ركاكة اللفظ بحيث يشهد الخبير بالعربية أن هذا لن يصدر من فصيح فضلاً عمن هو أفصح الفصحاء ؟ وركاكة المعنى كأن يكون مشتملا على محال ، واشتمال الحديث على مجازفات ومبالغات لا تصدر من عاقل حكيم والمخالفة للحس والمشاهدة والمخالفة بصريح القرآن أو السنة المتواترة أو الإجماع مع تعذر التأويل المقبول أو غير ذلك مما أفاضت به كتب تاريخ الوضع في الحديث . قال الربيع بن خثيم (ان للحديث ضوءاً كضوء النهار يعرفه ، وظلمة كظلمة الليل تنكره) .

وقال ابن الجوزي (ما أحسن قول القائل كل حديث رأيته تخالفه العقول وتناقضه الأصول وتباينه النقول فاعلم أنه موضوع) (٣) .

٣ ـ قالوا : ان عمر أحرق كتب السنة كما روى عنه القاسم بن محمد (. . . فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار ثم قال : (أمنية كأمنية أهل الكتاب) (٤) .

---

١ ـ مجمع الزوائد ١/١٥١ و ١/١٥٢ وانظر كنز العمال ٥/٢٢٦
٢ ـ ضحى الاسلام ٢/١٣٠ وليس من الاسلام (٤٤)
٣ ـ الدفاع عن السنة للشيخ ابى شهبة ص ٤٧
٤ ـ تقييد العلم ص ٥٢ ـ ٥٣

ولم يكتف بهذا بل أرسل إلى الآفاق منشوراً يدعوهم لحرق كتب السنة والتخلص منها ، فقد جاء عن يحيى بن جعده أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدا له ألا يكتبها ثم كتب في الأمصار (من كان عنده منها شيء فليمحه) (١)

والجواب عن هذا : أن رواية القاسم بن محمد عن عمر منقطعة ومن ثم فهي ضعيفة وساقطة عن الاعتبار . ورواية يحيى عن جعدة كذلك منقطعة وساقطة عن الاعتبار (٢) .

٤ – قالوا : هدد بعض المحدثين بالنفي كما قال السائب بن يزيد أنه سمع عمر يقول لأبي هريرة (لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض روس) وقال لكعب (لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة) (٣) .

وأجيب على هذا بأن القول المنسوب إلى عمر غير ثابت عنه .

قال المعلمي : في الإسناد محمد بن زرعة وهو مجهول والمجهول لا تقوم به الحجة ، وفي الإسناد مشكلات أخرى أيضاً .

بل ان الثابت أن عمر بعث في آخر امارته أبا هريرة إلى البحرين على القضاء والصلاة – وبطبيعة الحال كان يحدثهم ويعلمهم ويفتيهم .

٥ – قالوا : ان عمر ضرب أبا هريرة على كثرة الرواية كما نقل أبو رية (ص ١٦٣) ، وقال له : أكثرت يا أبا هريرة من الرواية وأحريك أن تكون كاذباً) .

قلنا : هذا كذب وافتراء وزور ولم يثبت ضرب عمر لأبي هريرة على رواية الحديث أو على أمر آخر ، والخبر مكذوب مختلق وقائله معتزل شيعي

---

١ – تقييد العلم ص ٥٣ ، جامع بيان العلم ٦٥/١

٢ – سير اعلام النبلاء ٤٣٣/٢ والبداية والنهاية ١٠٦/٨

٣ – سير اعلام النبلاء ٤٣٣/٢ والبداية والنهاية ١٠٦/٨

لا يقبل قوله في الصحابة ، وعزاها أبو رية إلى شرح النهج لابن أبي الحديد ، وهو من دعاة الاعتزال والرفض والكيد للإسلام ، ثم لا يعرف له سند (١) .

ومثل هذه الحكايات الطائشة توجد بكثرة عند الرافضة والناصبة والشيعة وغيرهم بما فيها انتقاص لأبي بكر وعمر وعلي وعائشة وإنما يتشبث بها من لا يعقل.

٦ ــ قالوا : ان عمر حبس ثلاثة : ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا ذر .

وعند البعض ــ وأبا مسعود ــ مكان أبي ذر . وقال قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ (ما هذا الحديث الذي تحدثون عن محمد)(٢)

نعم . هكذا زعموا أنه حبسهم ، وهل يعقل من مثل عمر أن يحبسهم وهم الأجلاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل يكفي لحبسهم أنهم أكثروا الرواية ، وقد ناقش هذا الإمام ابن حزم ورده وقال : هذا مرسل ومشكوك فيه من (شيعة) فلا يصح ولا يجوز الاحتجاج به ، ثم هو في نفسه ظاهر الكذب والتوليد لأنه لا يخلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة ، وفي هذا ما فيه ، أو يكون نهى عن نفس الحديث . . ولئن كان سائر الصحابة متهمين بالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم فما عمر إلا واحد منهم ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا . ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين فقد ظلمهم ، فليختر المحتج لمذهبه هذا الفاسد بمثل هذه الروايات الملعونة أي الطريقتين الخبيثتين شاء ولا بد له من أحداهما . . ثم قال :

وقد حدث عن عمر بحديث كثير . . وليس في الصحابة أكثر رواية منه إلا بضعة عشر منهم) (٣) . ولهذا قال السباعي (وقد حاولت أن أعثر على هذه الرواية فلم أجدها ودلائل الوضع عليها ظاهرة) (٤) .

---

١ ــ الانوار الكاشفة ص ١٥٢ ــ ١٥٣

٢ ــ تذكرة الحفاظ ١/٧ ومجمع الزوائد ١/١٤٩ والسنة ومكانتها ص ٦٤ ــ ٦٥

٣ ــ الاحكام لابن حزم ٢/١٣٩ وما بعدها

٤ ــ السنة ومكانتها ص ٦٤

ثم لو سلمنا ــ جدلا ــ بصحة الرواية ، فهناك خلاف في المحبوسين فالذهبي يذكر ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا المسعود ــ بينما يذكر ابن حزم ــ ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا ذر ، فهل تكرر الحبس من عمر ؟ ولو تكرر لاشتهر ، ثم ان خبراً كهذا يجب أن ينتشر في الآفاق من غير أن يحتمل الشك في المحبوسين ، ولو سلمنا أن العبرة في الحادثة نفسها فإن هناك صحابة أكثر منهم حديثاً لم يردنا خبر عن حبسهم ، فلا يعقل أن يحبس بعضاً دون بعض في قضية واحدة . فيحبس هؤلاء ويترك أبا هريرة وهو أكثر حديثاً منهم . فقد روى (٥٣٧٤) حديثاً . هذا يدلك على أن هذه الحادثة فرية وأكذوبة . ولأن ابن مسعود كان من كبار الصحابة وأقدمهم إسلاماً وله مقام كبير في نفس عمر حتى أنه حين أرسله إلى العراق ليعلم أهلها الدين والأحكام امتن عليهم بقوله (ولقد آثرتكم بعبد الله على نفسي) .

وأما أبو ذر فمهما نقل عنه من حديث فهو لم يبلغ جزءاً ما رواه أبو هريرة فلم يحبسه ولا يحبس أبا هريرة ؟ . (١)

يتبين من هذا أن ما نسب إلى عمر ليس بصحيح بل مختلق مكذوب ، بل على العكس فإن هذه الأخبار على فرض صحتها ــ لا تدل على عدم اعتداده بالسنة النبوية بل بالعكس تدل على أنه كان يريد التثبت ، لا أكثر .

٧ ــ قالوا : ان بعض الصحابة ــ كابن عباس وعائشة ــ ردوا على أبي هريرة بعض حديثه وكذبوه ، ومثلوا لذلك بحديث (من حمل جنازة فليتوضأ) ، فلم يأخذ ابن عباس بخبره وقال (لا يلزمنا الوضوء من حمل عيدان يابسة) . يريدون من هذا أن يثبتوا أن الصحابة كان يضع بعضهم بعضاً موضع النقد والطعن . وليس فيه دليل على ما زعموا وإنما هو نقاش

---

١ ــ السنة ٦٤ ــ ٦٥ والسنة قبل التدوين ١٠٩ ــ ١١٠

علمي محض مبني على اختلاف أنظارهم وتفاوت مراتبهم في الاستنباط والاجتهاد أو على نسيان أحدهم حديثاً وتذكر الآخر له . وليس ذلك ناشئاً عن شك أو ريبة أو تكذيب واحد لآخر .

أما الحديث هذا فليس له أثر بهذا اللفظ — كما قال الشيخ السباعي — في كتب الحديث قاطبة ولا في كتب الفقه — وليس فيها ذكر لهذه الحادثة التي رووها عن ابن عباس على أبا هريرة — ولو ثبت الحديث وثبتت الحادثة لما أغفلوا النص عليها .

نعم — ذكرها بعض علماء الأصول منهم — صاحب السلم — وهؤلاء القوم يتساهلون — بعضهم — في ذكر الأحاديث التي ليس لها أصل أو لها أصل من طريق ضعيف لأن الحديث ليس من اختصاصهم وعلى كل حال فإن كتبهم ليست مرجعاً في علم الحديث ولا يرجع إليها فيه .

واللفظ الموجود لهذا الحديث في كتب الحديث هو (من غسله الغسل ومن حمله الوضوء) (١) .

ثم ان أبا هريرة لم ينفرد بهذا الحديث ، بل رواه علي وعائشة ورواه أبو هريرة مرفوعاً وموقوفاً .

ثم على فرض صحة الواقعة وثبوت رد ابن عباس لأبي هريرة فليس معناه التكذيب ولا الطعن بل هو خلاف في فهم الحديث وفقهه ، فأبو هريرة يوجب الوضوء من الجنازة عملا بظاهر الحديث وابن عباس يرى الوجوب غير مراد من الحديث بل هو محمول على الندب . (٢)

٨ — قالوا : ان أبا هريرة لم يكن يكتب الحديث بل كان يعتمد في روايته على ذاكرته . (٣)

---

١ — رواه الترمذي وابن ماجة
٢ — السنة ومكانتها ص ٣٠٠
٣ — فجر الاسلام ص ٢٦٨

قلنا هذا شيء لم ينفرد به أبو هريرة وإنما هو صنيع كل من روى الحديث من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا ـ عبد الله بن عمرو ـ فقد كانت له صحيفة يكتب فيها . وهذا شيء يعترفون به كما قال أحمد أمين (وعلى كل حال مضى العصر الأول ولم يكن تدوين الحديث شائعاً إنما كانوا يروونه شفاهاً وحفظاً ـ ومن كان يدون فإنما كان يدون لنفسه) (١) .

إذاً فما وجه تخصيص أبي هريرة بهذا ؟ وما الفائدة من ذكره وهو معلوم في أحاديث أبي هريرة ، فما دام الرجل لم يكتب الحديث وما دام لم يرو عن ذاكرته فقط ، وما دامت الذاكرة قد تخطيء وتخون فنحن في شك من صحة أحاديثه (٢) .

سبحان الله ! هل هذا مأخذ على أبي هريرة ؟فهل غفل الأستاذ ثناء الصحابة عليه في حفظه وصدقه وزهده وورعه ، بل هل غفل أو تغافل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له بالحفظ . ؟

هل جهل الأستاذ أن من العلماء من يفضل الأخذ عن الذي يحدث من حفظه إذا كان مثبتاً صدوقاً عن الأخذ عن الذي يحدث من كتاب غيره ، حتى لقد قال علماء الأصول إذا تعارض حديثان أحدهما مسموع والآخر مكتوب كان المسموع أولى وأرجح ، ومن هنا كره فريق من العلماء من الصحابة والتابعين كتابة الحديث كيلا يتكلوا على الكتابة وحدها فتضعف ملكة الحفظ .

أخرج ابن عبد البر عن الأوزاعي (كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذا كان من أفواه الرجال يتناقلونه ويتذاكرونه ، فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أصله . (٣)

---

١ ـ فجر الاسلام ص ٢٧٢
٢ ـ السنة ومكانتها ص ٣٠٤
٣ ـ السنة ومكانتها ص ٣٠٥

٩ ـ قال الأستاذ أحمد أمين : ان أبا هريرة لم يكن يقتصر على ما سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم . بل كان يحدث عنه بما سمعه من غيره ، فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(من أصبح جنباً فلا صوم له) .

فأنكرت ذلك عائشة وقالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدركه الفجر في رمضان وهو جنب من غير احتلام فيغتسل ويصوم ، فلما ذكر ذلك لأبي هريرة قال : انها أعلم مني وأنا لم أسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم وسمعته من الفضل بن العباس) (١) .

الجواب على ذلك :

أولا : ان اسناد أبي هريرة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه منه شيء لم ينفرد به أبو هريرة بل شاركه فيه صغار الصحابة ، ومن تأخر إسلامه فعائشة وأنس والبراء وابن عباس وابن عمر ، هؤلاء وأمثالهم اسندوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ما سمعوه من صحابته عنه وذلك لما ثبت عندهم من عدالة الصحابي وصدقه ، فقد روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال :

(من صلى على جنازة فله قيراط) .

وأسنده بعد ذلك إلى أبي هريرة .

وقد قال أنس رضي الله عنه (ما كل ما نحدثكم به عن رسول الله سمعناه عنه ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضا) وقال البراء (ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابه عنه وكانت تشغلنا عنه رعية الإبل) . وهذا ما يسمى عند العلماء بمرسل الصحابي وقد أجمعوا

---

١ ـ فجر الاسلام ص ٢٦٩

على الإحتجاج به وأن حكمه حكم المرفوع وأن الجهالة بالصحابي غير فادحة لأن الصحابة كلهم عدول ، قال الإمام النووي بعد ما ذكر الخلاف في حجية المرسل : هذا كله في غير مرسل الصحابي أما مرسل الصحابي كاخباره عن شيء فعله النبي صلى الله عليه وسلم أو نحوه ـ مما نعلم أنه لم يحضره لصغر سنه أو لتأخر إسلامه أو غير ذلك فالمذهب الصحيح المشهور الذي قطع به جمهور أصحابنا وجماهير أهل العلم به حجة . . ثم قال وفي صحيحي البخاري ومسلم من هذا ما لا يحصى .

وقال الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني من أصحابنا ، لا يحتج به بل حكمه حكم مرسل غيره إلا أن يبين أنه لا يرسل إلا ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم أو صحابي ، لأنهم قد يروون من غير صحابي ، ثم قال النووي : والصواب الأول وأنه يحتج به مطلقاً لأن روايتهم عن غير الصحابي ندرة وإذا رووها بينوها فإذا أطلقوا ذلك فالظاهر أنه عن الصحابي والصحابة كلهم عدول(١) .

ثانياً : ان كتب الحديث لم تذكر انكار عائشة على أبي هريرة ولكنها ذكرت المسألة على أن أبا هريرة استفتي في صوم من أصبح جنباً فأفتى بأنه لا صوم له فاستفتيت عائشة وأم سلمة في المسألة نفسها فكلتاهما أفتت بصحة صومه ، وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً ثم يصوم ، فلما قيل ذلك لأبي هريرة رجع عن فتواه وقال هما أعلم مني ، فالواقعة واقعة فتوى أفتى فيها كل بما علمه وصح عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيها انكار عائشة ولا ردها عليه (٢) .

ثم لو سلمنا بثبوت الإنكار عنها فليس معناه تكذيب أبي هريرة فيما روى بل معناه أنها لا تعرف هذا الحكم وإنما تعرف خلافه فيكون من الاستدراكات

---

١ ـ المجموع للنووى (٦٢/١)
٢ ـ السنة ومكانتها ص ٣٠٨

التي استدركتها عائشة أم المؤمنين على كبار الصحابة وما زال الصحابة يستدرك بعضهم على بعض لا يرون ذلك تكذيبا بل تصحيحاً للعلم وأداء للأمانة على ما يعرفها الصحابي (١) .

١٠ – زعموا أن الصحابة قد أكثروا من نقد أبي هريرة على إكثاره من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكوا فيه .

هذا زعم كل من الأستاذ أحمد أمين والمستشرق جولد تسهير .

من المعلوم أن أبا هريرة كان من المكثرين في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرغم من تأخر إسلامه لكثرة ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم حتى كان يدور معه حيث دار ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأله كبار الصحابة عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل صغار الصحابة .

يقول أبو هريرة رضي الله عنه (انكم تزعمون أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – والله الموعد – كنت رجلا مسكيناً أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم) وفي حديث آخر (. . . وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا) (٢) .

١١ – قال صاحب فجر الإسلام (والحنفية يتركون حديثه – يعني حديث أبي هريرة أحياناً إذا عارض القياس كما فعلوا في حديث المصراة (٣) .

---

١ ـ السنة ومكانتها ص ٢٠٩ وذكر السباعى وجوها اخرى للتوفيق بين الروايتين فانظرها .

٢ ـ انظر السنة ومكانتها حيث الرد المفصل ص ٣١٠

٣ ـ فجر الاسلام ص ٢٦٩

يزعم المؤلفان أنّ الحنفية يقدمون القياس على الخبر إذا عارضه ، والحنفية لم يقولوا بتقديم القياس على الحديث بل الإمام وصاحباه وجمهرة أتباعه على أن الخبر مقدم على القياس مطلقاً وإن كان ضعيفاً وذكر ابن حزم الإجماع على أن مذهب أبي حنيفة : أن ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس إذا لم يجد في الباب غيره (١) وهو مذهب الجمهور .

وذهب فخر الإسلام واختاره ابن ابان وأبو زيد وهم من الحنفية ، إلى أن الراوي إذا كان فقيها قدم خبره على القياس مطلقاً وإن كان غير فقيه قدم خبره على القياس أيضاً إلا إذا خالف جميع الأقيسة وانسد باب الرأي بالكلية ومثلوا لذلك بحديث المعراة .

ثم يظهر من ظاهر قول المؤلفان هذا الموقف من تقديم القياس على الخبر خاص بأبي هريرة — عند القائلين به — وليس بصحيح ، بل هم يعممون في كل راو غير فقيه ، إذاً فما وجه تخصيص أبي هريرة بالذكر ؟ إلا شيء في نفس المؤلف على أبي هريرة .

وأما ما نقله عن الحنفية من قولهم بعدم فقاهة أبي هريرة فغير صحيح إذلم يقل بذلك منهمإلا فخر الإسلام وصاحباه وجمهور الحنفية ، على خلا فهم والتشنيع على مقالتهم تلك (٢) ، وجمهور الحنفية على أن أبي هريرة فقيه ، قال الكمال الهمام (وأبو هريرة فقيه) .

نعم ان الحنفية مع كونهم يقدمون الخبر على القياس إذا تعارضا ، فقد

---

١ ـ انظر الاجوبة الفاضلة للكنوى ص ٤٩ وقال ابن القيم فى اعلام الموقعين ٧٧/١ « واصحاب ابى حنيفة مجمعون على ان مذهب ابى حنيفة ان ضعيف الحديث عنده اولى من القياس والراى وعلى هذا بنى مذهبه ٠٠ » ٠

٢ ـ انظر السنة ومكانتها حيث قد أفاض الدكتور السباعى فى الـرد على مزاعم الاستاذ احمد امين بالتفصيل ٠ ص ٢٩٨ وما بعدها وانظر دفاع عن السنة ص ١٤٥

تركوا خبر أبي هريرة هنا ـ لا لخصوص أبي هريرة ـ كما يزعم المؤلف ـ ولا خروجاً عن قاعدتهم بل بناء على قاعدة أخرى مسلم بها عندهم وعند جميع العلماء أن الخبر إذا عارض الكتاب والسنة والإجماع لم يعمل به ، لأن القاعدة في الترجيح عند تعارض الأدلة أن يصار إلى الأقوى ولا شك أن ما دل عليه الكتاب والسنة بمجموعها والإجماع أقوى مما دل عليه خبر الآحاد ، وهذا الخبر قد عارض عندهم الكتاب والسنة والإجماع فلا يعمل به ، ثم سلكوا في الجواب عنه مسالك مختلفة أقربها أنه منسوخ .

وأياً كان الأمر فليس في مسلك الحنفية هنا ما يعود بالطعن على أبي هريرة .

١٢ ـ قال (والوضاع قد استغلوا فرصة إكثاره فزوروا عليه أحاديث لا تعد) (١) .

نقول : ان هذا شيء لم يُخص به أبو هريرة بل ان علياً وعمر وعائشة وابن عباس وغيرهم قد كُذب عليهم ، إذاً فما وجه تخصيص أبي هريرة بالذكر إلا أن الأستاذ يريد التشكيك في مرويات أبي هريرة كلها كما صرح قبل ذلك بقوله (كل هذه الظروف تجعلنا نقف من أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك) بهذا ينهي الأستاذ حديثه عن أبي هريرة كما أنهى سلفه ـ جولد تسهير ـ بحثه في أبي هريرة حيث يقول (ان كثيراً من الأحاديث التي نسبها الرواة إليه قد نحلت عليه في عصر متأخر) (٢) .

وهكذا يحمل مؤلف فجر الإسلام حملات منكرة بأسلوب لطيف على هذا الصحابي الجليل من غير تثبت ولا تحقق أو متعمداً ليحقق فكرة خبيثة في ذهن مستشرق ومغلوب على هواه ليشوه بها سيرة عظمائنا الذين نقلوا إلينا هذا الشرع وحفظوه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

---

١ ـ فجر الاسلام (ص ٢٧٠)
٢ ـ انظر دائرة المعارف الاسلامية (٢/٢٥ ـ ٢٧)

١٣ ـ يزعمون أن السنة لما دخلها من الوضع ورواية بالمعنى لم تعد محلا للثقة والاعتماد ، يقول أبو رية ص ٨ أنه بعد أن لبث زمناً طويلا يبحث وينقب بعد أن أخذ نفسه بالصبر والأناة ، انتهى إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة . (من ذلك أني وجدت أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث (كلها) مما سموه صحيحاً أو ما جعلوه حسناً حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه كما نطق به الرسول . . وقد يوجد بعض الألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها في بعض الأحاديث القصيرة ، وذلك في القلة والندرة ، ويبين لي أن ما يسمونه في اصطلاحهم حديثاً صحيحاً إنما كانت صحته في نظر رواته لا أنه صحيح في ذاته) .

انه يريد أن يفهم القارئ أن السنة لم يأت فيها حديث على محكم لفظه وأصل تركيبه ، وأنها قد دخلها الكثير من التغيير والتحريف والتبديل وأن رواية الحديث بالمعنى هو الأصل والقاعدة ومجيئها على اللفظ النبوي أمر شاذ ونادر . . الخ . .

« نحن لا نقول أن الأحاديث كلها رويت بألفاظها ، كيف وقد ثبت أن القصة الواحدة رويت بألفاظ مختلفة ـ وإن كان المعنى واحداً ـ ولا نقول أن الأحاديث كلها رويت بالمعنى ـ كما زعم ـ وكيف ومن الأحاديث ما اتفقت الروايات على لفظها ، أفلا يدل اتفاق الروايات على اللفظ أن هذا حقيقة اللفظ المسموع من الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق للبلاغة أنها من كلام أفصح العرب وأنها لن تخرج إلا من مشكاة النبوة (١) .

وبعد هذا يعلم أن الرواية بالمعنى قد منعها كثير من العلماء كما أجازها بعض الآخرين لمن كان عارفاً بالألفاظ والأساليب خبيراً بمدلولاتها والفروق

---

١ ـ انظر دفاع عن السنة للدكتور ابى شبهة ٥٢

الدقيقة بينها على أن تكون بقدر الحاجة إليها لا أنها أصل يتبع ويلتزم في الرواية وأن الرواية بالمعنى ممنوعة باتفاق في الأحاديث المعتبر بلفظها كالاذكار والأدعية وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم .

ان الذين نقلوا الأحاديث من الصحابة ومن بعدهم من ثقاة الرواة كان لهم من الخصائص الدينية والنفسية والخلقية ما يعصمهم من التغيير والتبديل والتساهل في الرواية ، وإنكار ذلك مكابرة .

وأما ما ادعاه من أنه يتبين له أن ما سموه صحيحاً إنما هو في نظر رواته لا أنه صحيح في ذاته . فشيء سبق به من ألف سنة أو تزيد ، فقد قال أئمة الحديث (١) أن الحكم على الحديث بالصحة أو الحسن أو الضعف إنما هو بحسب ما ظهر للمحدث من تحقق شروط الصحة أو الحسن أو عدم تحققها . وليس المراد أنه صحيح أو حسن أو ضعيف في الواقع ونفس الأمر ، إذ لا يعلم ذلك يقيناً إلا علام الغيوب ، وأنه يجوز عقلا أن يكذب الصادق ويصدق الكذوب به ، وهذا التجويز العقلي دعاهم إليه التعمق في البحث والتأني في النظر والتثبت في الحكم وبلوغ الغاية في النصفة » (٢) .

١٤ – قالوا : (انهم أباحوا للناس أن يرووها – السنة – عنهم بالمعنى على حسب ما فهموا) قاله الدكتور توفيق صدقي (٣) .

ونقول له : ان جواز رواية الحديث بحسب ما يؤديه الفهم – لا نسمعه إلا منك فإن المقرر المعروف أن فهم الحديث في ذاته تابع لروايته لا أن روايته تابعة لفهمه ، وأما رواية الحديث بمعناه – إذا غاب عن الراوي لفظه – فجائز لأن المراد منه حكمه لا التحدي بلفظه – ولأن القرآن متعبد بلفظه وليست السنة كذلك ، إذاً فلا بأس بروايته بمعناه .

---

١ – انظر القواعد فى علوم الحديث لظفر احمد التهانوي ص ٤٩–٥٦
٢ – دفاع عن السنة ص ٥٤
٣ – انظر مجلة المنار (٩/٩١٣)

١٥ ـ وقال الدكتور توفيق ـ أيضاً ـ ان ولوع المتقدمين بجمع روايات الحديث مدعاة إلى وقوع التضارب والاختلاف فيها) .

قلنا بالعكس بل هو ادعى إلى حفظها وصيانتها لأن من وقف على قراءة شيء من أخبار أولئك الأخيار العدول الذين انقضت أعمارهم في هذا السبيل ، إذكان يمشي الواحد منهم الشهر والشهرين والأكثر متنقلا بين الأقطار والمدن لطلب الحديث الواحد ، قال سعيد بن المسيب (كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد) .

مع العلم أن ولوع المتقدمين بجمع الروايات ورواية الحديث الواحد بطرق متعددة وبأسانيد مختلفة أكبر مدافع لدعوى التضارب والاختلاف فيها .

١٦ ـ قالوا : كيف نقبل الأحاديث ونعتبرها صحيحة وقد بلغ عددها أكثر من سبعمائة ألف ، ألم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم شغل شاغل إلا الكلام فقط ؟ .

وأضاف بعضهم : ان الأحاديث الموجودة بين أيدينا لا تصل إلى مائة ألف ، فأين بقية الرصيد المدعى .

أما الأستاذ أحمد أمين فاتخذ من كثرة الحديث دليلا على كثرة الوضع حيث قال :

(. . . وإن البخاري وكتابه يشتمل على سبعة آلاف حديث منها نحو ثلاثة آلاف مكررة . قالوا : انه اختارها وصحت عنده من ستمائة ألف حديث كانت متداولة في عصره) (١) .

نحن لا ننكر كثرة الحديث ولكن يجب أن يعلم تحديد المراد من كلمة الحديث وتفريق العلماء بين الحديث والخبر والأثر .

---

١ ـ فجر الاسلام ص ٥٢٩

فقد قال جماعة : أن الحديث ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيختص بالمرفوع عند الإطلاق ولا يراد به الوقوف إلا بقرينة .

أما الخبر فإنه أعم من أن يطلق على المرفوع والموقوف فيشمل ما أضيف إلى الصحابة والتابعين وعليه يسمى ـ كل حديث خبراً ، ولا يسمى كل خبر حديثاً .

أما الأثر : فإنه مرادف للخبر ، فيطلق على المرفوع والموقوف .

وفقهاء خراسان يسمون الموقوف بالأثر ، والمرفوع بالخبر .

فإذا عرف تحديد المراد بالحديث والخبر والأثر سهل علينا أن نفهم معنى لهذه الكثرة الهائلة ، فهي شاملة لما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولأقوال الصحابة والتابعين ، كما يشمل طرق الحديث الواحد ، فقد يروي المحدث الحديث الواقع من طرق مختلفة ، فيعنى المحدث بجمع طرقه من رواته ، فقد يبلغ أحياناً عشرة طرق فيعدها عشرة أحاديث وهي ليست إلا حديثاً واحداً ، وقد كان إبراهيم بن سعيد الجوهري يقول : (كل حديث لم يكن عندي من مائة وجه فأنا فيه يتيم) .

وبهذا إذا جمعت أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته إلى أقوال الصحابة والتابعين ، وجمعت طرق كل حديث لا يستغرب ولا يستبعد أن يبلغ ذلك كله مئات الألوف بهذا المعنى .

وبهذا تفهم معنى قول بعضهم (فلان كان يحفظ سبعمائة ألف حديث) أي من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين مع طرق كل قول .

الباب السادس

(أمثلة من الأحاديث)
(تعرضت لنقد منكري السنة)

قد تعرض هؤلاء المنكرون لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعن ونقد كثير من الأحاديث الصحيحة وفيما يأتي أمثلة منها :

الحديث الأول

١ ـ عن ابى هريرة (١) رضى الله عنه : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني ، ونظراً لما أشيع حوله من شبهات ومطاعن ومفتريات فإني أوسع في ترجمته ـ بعض الشيء ـ أداء لبعض حقه ولما قام من خدمة جليلة في سبيل السنة الشريفة فأقول :

كان اسمه في الجاهلية عبد شمس فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، واشتهر بكنيته حتى غلبت على اسمه وسئل أبو هريرة لم كنيت بذلك ؟ قال : كنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي : أبو هريرة.أسلم سنة سبع من الهجرة على يد الطفيل بن عمرو وقد لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى آخر حياته وقصر نفسه على خدمته فكانت صحبته

---

١ ـ انظر ترجمته فى الاصابة ١٩٩/٧ ـ ٢٠١ وتهذيب التهذيب ٦٣/١٢ وتاريخ الاسلام ٣٣٣/٢ وطبقات ابن سعد ٢/٤/٥٢

أربع سنوات وقد اتخذ الصفة مقاماً له وخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه وكان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً شديداً وكان ورعاً ملتزماً سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر الناس من الانغماس في ملذات الدنيا وشهواتها يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، صبر على الفقر الشديد حتّى أنه كان يلصق بطنه بالحصى من الجوع يقول (إني كنت والله ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشبع بطني ، حتّى لاكل الخمير . .) ويقول : وكنت في سبعين رجلا من أهل الصفة – ما منهم رجل عليه رداء إما بردة أو كساء قدر ربطوها في أعنقاقهم(١) .

وكان عفيف النفس مع فقره فياض اليد مبسوط الكف لم يحمله فقره على الشح.

اعتزل الفتن الّتي قامت بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه وربما كان يحث الناس على اعتزالها ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، ومن يشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذبه) (٢)

كان حسن المعشر طيب النفس صافي السريرة نظر إلى الدنيا بعين الراحل عنها فلم تدفعه الإمارة إلى الكبرياء بل أظهرت تواضعه فربما استخلفه مروان على المدينة فيركب حماراً قد شد عليه بردعة وفي رأسه خلبة من ليف يسير فيلقى الرجل فيقول : الطريق قد جاء الأمير(٣) .

ويمر في السوق يحمل الحطب على ظهره – وهو يومئذ أمير على المدينة – لمروان .

---

١ – السنة قبل التدوين (٤١٤)

٢ – رواه البخارى انظر الفتح ٤٢٦/٧

٣ – طبقات ابن سعد ٦٠/٤ – ٦١/٢

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتأخر عن إجابته لما يسأل لما عرف من حرصه على طلب العلم ، قال ذات يوم يا رسول الله : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه(١).

قد عرف الصحابة منزلته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يحدث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفتي الناس بحضرة علماء الصحابة وكبارهم وكان أميناً في حـــديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم وإذا قال في شيء برأيه قال (هذه من كيسي) وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً وكان يقول (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه كان يكتب ولا أكتب) وقد شهد له إخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة سماعه وأخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الشهادات تدفع كل ريب أو ظن حول كثرة حديثه حتى أن بعضهم رووا عنه لأنه سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمعوا . (روى أشعث بن سليم عن أبيه قال (سمعت أبا أيوب الأنصاري يحدث عن أبي هريرة فقيل له : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدث عن أبي هريرة ؟ فقال قد سمع ما لم نسمع . .) (٢) .

كان حافظاً متقناً ضابطاً لما يروى ، اجتمعت فيه صفتان عظيمتان تتمم إحداهما الأخرى ، الأولى سعة علمه وكثرة مروياته والثانية قوة ذاكرته وحسن ضبطه ، وهذا غاية ما يتمناه أولوا العلم .

---

١ ـ البخارى ٢٠٣/١ طبقات ابن سعد ١١٨/٢ ـ ٢

٢ ـ سير اعلام النبلاء ٤٣٦/٢

روى عنه خلق كثير من التابعين . قال البخاري روى عنه نحوا من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم .

قال ابن عمر (يا أبا هريرة : كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه)(١) .

قال الإمام الشافعي (أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره(٢) .

وقال الذهبي(كان أبو هريرة وثيق الحفظ ما علمنا أنه أخطأ في حديث)(٣).

وهذا ما ذكرناه غيض من فيض ، شهد به رؤوس العلم لأبي هريرة ، فسعة علمه وكثرة حديثه لا يخفيان على مسلم .

وفاته : توفى سنة تسع وخمسين رضي الله عنه ورحمه رحمة واسعة .

« إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة (لا يقطعها)(٤) » .

النقـــد :

يقول أبو رية عن هذا الحديث (وإليك مثلا من ذلك نختم به ما ننقله من الأحاديث التي رواها أبو هريرة وهي في الحقيقة من الإسرائيليات حتى لا يطول بنا القول . ثم ذكر الحديث . ثم قال : ولم يكد أبو هريرة يروي هذا الحديث

---

١ ـ سير أعلام النبلاء ٢/٤٣٥

٢ ـ المصدر السابق ٢/٤٣٢

٣ ـ المصدر السابق ٢/٤٤٦

٤ ـ رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق ٦/٢٨٦ وما بين القوسين له· وفى التفسير ٨/٦٢٧ وفى الرقاق ١١/٤١٥ ومسلم ٤/٢١٧٥ والترمذى فى صفة شجر الجنة ٧/٢٢٥ واخرجه ابن ماجة ٢/١٤٥٠ رقم الحديث (٤٣٣٥) فى كتاب الزهد · والدارمى فى كتاب الرقاق (٢/٢٤٤) وفيه زيادة : (واقرأوا ان شئتم « وظل ممدود ») ورواه الامام احمد فى المسند ٢/٢٥٧ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤٣٨ ، ٤٥٢ ، ٤٥٥ ، ٤٦٢ ، ٤٧٩ ، ٤٨٧ ،) و ٣/١١٠ ، ١٣٥ ، ١٦٤ ، ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢٣٤) وله شاهد عند مسلم عن سهل بن سعد ٤/٢١٧٦ وعن ابى سعيد بلفظ : (يسير الراكب الجواد المضمر مائة عام) أ ـ هـ

حتى أسرع كعب : قال : صدق والذي أنزل التوراة على موسى : والفرقان على محمد(١) (صلى الله عليه وآله وسلم) .

الـــرد :

أنكر أبو رية هذا الحديث على أبي هريرة وزعم أنه من الإسرائيليات لكن ما وجه الإنكار فيه ؟ إذا كان رواه أبو هريرة ، فقد رواه سهل ابن سعد وأبو سعيد كما ذكرنا في التخريج .

وإذا كان وجه إنكار هذا الحديث لضخامة الشجرة وكبرها فهل يستغرب وجود مثل هذه الشجرة في (**جنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للمتقين**) (٢) وإذا كان وجه إنكار هذا الحديث هو كون الراكب يسير في ظلها مائة عام فإني أسأله : أليست الجنة من أمور الغيب ؟ أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قال (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)(٣) إذا فما وجه الإنكار والاستغراب ؟ ليس إلا الزيغ والإلحاد . . .

هل يريد هؤلاء أن ينفوا كل ما لم تتصوره عقولهم وتفكيرهم ؟

فإن أرادوا هذا وجب عليهم أن ينفوا كثيراً من المخترعات التي نسمع بها ولا نراها أو نراها ولا نعقلها .

ثم أليس في عالم الشهادة ما استطاع العلم أن يكشف من عظمته مما لا يكاد يتصوره العقل ، ألا يحدثنا علماء الفلك الآن عن كبر حجم الشمس بالنسبة إلى أرضنا أكثر من مليون مرة ؟ والشمس إحدى ملايين الشموس التي تكبر شمسنا هذه بملايين المرات ؟ ألا يحدثنا هؤلاء العلماء عن شموس

---

١ ــ اضواء على السنة المحمدية ص ١٧٧
٢ ــ سورة الحديد آية ٢١
٣ ــ رواه البخارى ٤٦٥/١٣

في هذا الفضاء الرحب ، لم يصل إلى الأرض نورها حتى الآن منذ مليون أو أكثر من السنوات الضوئية ؟ أيصدق العقل مثل هذه الأمور العلمية التي يكشف عنها العلماء في هذا العصر لولا أنها مما يذيعه أولئك العلماء ؟ فيا عجباً كيف يصدق أبو رية أن يعرف العلماء سعة هذا الكون العجيب إلى حد لا يصل إلى خيال أكبر عقل إنساني على وجه الأرض ؟ ثم هو لا يصدق أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – المتصل بوحي السماء المستمد علمه من علم الله خالق هذا الكون العجيب – يقول إن في الجنة لشجرةً يسير الراكب في ظلها مائة سنة .

هكذا نجا أبو هريرة من تلك الأعاصير التي عصفت حوله، فوقف صامداً لها وأنهار دعاة أعدائه أمام الصرح الشامخ الذي يحمي عدالته فبقي أحد أعلام السنة وراوية الإسلام .

ولتكن شهادة ابن خزيمة مسك الختام في أبي هريرة حيث قال (وإنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار)(١) .

---

١ – السنة قبل التدوين ص ٤٦٦–٤٦٧

الحديث الثانى

٢ ـ عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل »(١) .

النقـــد :

قال الأستاذ أحمد أمين (وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم ـ والحق يقال ـ عنوا بنقد الأسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن . فقلّ أن تظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التي قيلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفي يخالف المألوف في تعبير النبي ، أو أن الحديث أشبه في شروطه وقيوده بمتون الفقه ، وهكذا لم تظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم ـ حتى نرى البخاري نفسه ـ على جليل قدره ودقيق بحثه ـ يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهد التجريبية على أنها غير صحيحة لإقتصاره على نقد الرجال كحديث (لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس

---

١ ـ رواه البخارى فى الطب ٢٣٨/١٠ و٢٤٦ بالفاظ متقاربة وفى الاطعمة ٥٦٩/٩ بلفظ (من تصبح كل يوم سبع تمرات) ، ومسلم بلفظ (من تصبح) عن سعيد · وفى لفظ (من اكل) (١٦١٨/٣) وابوداود فى الطب ٢٠٨/٤ والامام احمد بن حنبل ١٨١/١

منفوسة)(١) وحديث (من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل)(٢) .

الـــرد :

إن مؤلف نقد هذا الحديث لأن الحوادث الزمنية والمشاهد التجريبية ــ على حسب زعمه ــ تخالفه ــ ولا عبرة عنده أن الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد وأنه صحيح سنداً أو متناً .

إن قطع مؤلف فجر الإسلام بتكذيب هذا الحديث جرأة مذمومة بالغة منه ، لا يمكن أن تقبل في المحيط العلمي بأي حال ، كيف وقد دلت شواهد طبية ــ كما سأذكرها ــ على أن التمر مفيد في وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون والبواسير ونحو ذلك ، ولو لم تكن هذه الشواهد موجودة ، فإن الحديث الصحيح حجة ــ في نفسه لا يحتاج إلى شواهد خارجية .

إن من العلماء من جعل هذا الحديث خاصاً بتمر المدينة عملا برواية مسلم (إن في العجوة العالية شفاء وإنها ترياق ، أول البكرة)(٣) قالوا ولا مانع أن يخص الله بلداً بميزة لا تكون في غيرها لبعض إلا دواء في الأدوية التي تكون في بعض تلك البلاد دون ذلك الجنس في غيره ، لتأثير يكون في تلك الأرض أو ذلك الهواء ببركة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال القرطبي : (ظاهر الحديث خصوصية عجوة المدينة بدفع السم وإبطال السحر ، والمطلق منها محمول على المقيد، وهو من الخواص التي لا تدرك بقياس ظني(٤) .

---

١ ــ رواه البخارى ٢١١/١ وسيأتى الحديث عنه

٢ ــ فجر الاسلام ٢١٧/١ ــ ٢١٨

٣ ــ صحيح مسلم ١٦١٩/٣

٤ ــ فتح البارى ٢٤٠/١٠

وقال النووي (وفي هذا الحديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها(١) .

ومنهم من قال : إن هذا عام في كل عجوة لأن السموم إنما تقتل لإفراط برودتها فإذا داوم على التصبح بالعجوة تحكمت فيه الحرارة وأعانتها الحرارة الغريزية فقاوم ذلك برودة السم ما لم يستحكم)(٢) .

والذي ارتضاه الأكثرون تخصيصه لعجوة المدينة لما مر من حديث مسلم ولما جاء في حديث سعد الآتي قال (مرضت مرضاً فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني ، فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي ، فقال : إنك رجل مفؤود ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطيب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن)(٣) .

قال ابن القيم (والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة ولا سيما من اعتاد الغذاء به كأهل المدينة وغيرهم . . إلى أن قال : وتمر العالية من أجود أصناف تمرهم فإنه ملين للجسم لذيذ الطعم ، صادق الحلاوة ، والتمر يدخل في الأغذية والأدوية والفاكهة وهو يوافق أكثر الأبدان . . ولا ريب أن للأمكنة اختصاصاً ينفع كثيراً من الأدوية في ذلك دون غيره فيكون الدواء الذي نبت في هذا المكان نافعاً من الداء(٤) ولا يوجد فيه ذلك النفع إذا نبت في مكان غيره لتأثير

---

١ ـ شرح مسلم للنووى ٣/١٤

٢ ـ فتح البارى ٢٤٠/١٠

٣ ـ رواه ابوداود ٢٠٧/٤ وفى اسناده مقال ٠

٤ ـ قلت : من هذا الباب ما ذكروا ان هناك بئرا بطريق المدينة (حائل) يستشفى الناس من مائه ٠ وان كثيرا ممن سقوا منه شفوا من امراضهم بعد شربهم واغتسالهم منه وان افواجا من الناس الذين ابتلاهم الله بأمراض يتزاحمون عليه بكرة وعشيا للشرب منه حتى اضطرت الامارة والشرطة الى تعيين رجال الامن حوله للحفاظ على النظام وتفاديا من الفوضى ٠ وقامت البلدية ببناء احواض لتيسير عملية توزيع الماء ، فاذا كان هذا واقعا فى مدينة حائل فما ظنك بالمدينة المنورة التى فاضت بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وتواترت فى فضائلها احاديث كثيرة وقد جمعتها وخرجتها فى (الدرة الثمينة) فى جمع وتخريج ما ورد من الحديث فى فضائل المدينة ٠ أ ٠ هـ

نفس التربية أو الهواء أو هما معاً جميعاً ، فإن للأرض خواص وطبائع يقارب اختلافها اختلاف طبائع الإنسان ، وكثير من النبات يكون في بعض البلاد غذاء مأكولا ، وفي بعضها سماً قاتلا .

وقال في مكان آخر (ونفع هذا العدد من التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها من السم والسحر بحيث تمنع إصابته من الخواص التي لو قالها أبقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والانقياد مع أن القائل إنما معه الحدس والتخمين والظن ، فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحي ، أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض)(١).

وأما السحر فإذا ذهبنا إلى أنه مرض نفسي ، وأنه يحتاج إلى علاج نفسي وأن الإيحاء النفسي له أثر كبير في شفاء المرضي بمثل تلك الأمراض ، وإذا أخذنا العجوة على أنها مغذية مفيدة للجسم ، مقوية للبنية ، قاتلة للديدان قاضية على تعفن الفضلات ، وأنها من عجوة المدينة ، وأن هذا علاج وصفه عليه الصلاة والسلام . وهو الذي لا ينطق عن الهوى لا شك أن ذلك يحدث أثراً طيباً في نفس المسحور ، وقد أثبت الطب أثر التخيل والوهم والإيحاء النفسي في كثير من الأمراض شفاء أو إصابة ، أفليس ذلك من شأنه ألا نتسرع في تكذيب الحديث ما دام من الممكن تخريجه على وجه معقول ؟(٢) .

تجربة علمية تؤيد الحديث

وإذا كان الحديث حجة في نفسه لا يحتاج إلى دعم خارجي ، فإن النفس تطير فرحاً وسروراً عندما يوافق العلم الصحيح الحديث الصحيح كتبت جريدة الأهرام تحت عنوان (البلح علاج لأمراض العيون والجلد والأنيميا والنزيف ولين العظام والبواسير ويساعد على الولادة بسرعة) .

---

١ ـ الطب النبوى
٢ ـ السنة ومكانتها ص ٢٨٤

أثبتت الأبحاث العلمية التي أجريت أخيراً بالمركز القومي للبحوث أن البلح غذاء كامل ، ويفيد في وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر وعلاج الأمراض الجلدية كالبلاجرا وأمراض الأنيميا وحالات النزيف ولين العظام والبواسير ويساند المرأة الحامل على الولادة بسهولة) .

صرح بذلك الدكتور عبد العزيز شرف المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومي للبحوث وأضاف قائلا : إن الأبحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم في قيمته الغذائية ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية وذلك بالإضافة إلى أنه غني بالكالسيوم والفسفور والحديد ويحتوي على غالبية الفيتامينات المعروفة(١) .

ويقول الدكتور السباعي أنه جرب بنفسه حين ذهب إلى الحج في عام١٣٨٤هـ واستمر على التصبح بسبع تمرات من تمر المدينة مدة خمسة أشهر كاملة ، وأنه كان مصاب بمرض (السكر) ثم حلل البول والدم فلم يظهر أي أثر للسكر في البول ولم يزد السكر في الدم عما كان عليه قبل سفره إلى الحج(٢) .

بعد هذه التجارب المؤكدة لا يجوز أن يبقى شك في نفس المسلم . أما الملحدون وأصحاب الأهواء فالكلام معهم أسلوب آخر ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

---

١ ـ جريدة الاهرام الاثنين ١٢ ذو الحجة ١٣٨٢ هـ الموافق ٦ مايو ١٩٦٣ م السنة ٨٩ ـ العدد ٢٧٩٠٥ ص ٤

٢ ـ السنة ومكانتها ص ٢٨٣

الحديث الثالث

٣ — عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة »(١) .

النقـــد :

هذا الحديث من الأحاديث التي زعم مؤلف فجر الإسلام أن الحوادث الزمنية والمشاهد التجريبية تخالفه كما مر آنفاً في الحديث السابق .

الــرد :

إن صاحب فجر الإسلام اقتصر على الجزء من الحديث الذي ذكره البخاري(٢) (. . فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض) أما البخاري فعادته ما جرى عليه من تقطيع الحديث في أبواب متعددة ، والمؤلف إنما حكم عليه بالوضع لمخالفته للحوادث التاريخية والمشاهد — على حسب زعمه — على الجزء من الحديث ، فلو جمع الحديث من طرقه المختلفة وأبوابه المتعددة — ربما لم يخرج بهذه النتيجة المؤسفة . فقد روى الحديث

---

١ — رواه البخارى فى كتاب العلم (٢١١/١) عن ابن عمر قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء فى آخر حياته فلما سلم قام فقال : أرأيتم ليلتكم هذه فان على رأس مائه سنة منها لا يبقى ممن هـو على ظهر الارض احد · وفى باب مواقيت الصلاة (··· فوهل الناس من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما يتحدثون هذه الاحاديث عن مائة سنة · وانما قال النبى صلى الله عليه وسلم (لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض) يريد بذلك انها تنخرم ذلك القرن ·ورواه مسلم عن جابر بالفاظ متقاربة · وابوداود فى الملاحم ٥٠٦/٤ والترمذى فى الفتن ٥٢٥/٦
٢ — (٤٥/٢) من الفتح

من طرق متعددة فسر بعضها بعضاً ، فالمراد من الحديث أنه عند انقضاء مائة سنة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبقى أحد ممن كان موجوداً في عهده صلى الله عليه وسلم حين قال هذا النبأ .

قال ابن قتيبة : ونحن نقول : إن هذا الحديث قد أسقط الرواة منه حرفاً (أي كلمة) إما لأنهم نسوه ، أو لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفاه فلم يسمعوه ونراه – بل لا شك أنه قال – (لا يبقى على الأرض منكم يومئذ نفس منفوسة) . يعني ممن حضره في ذلك المجلس فأسقط الراوي (منكم)(١) .

وعلى كل حال فإن الروايات الأخرى توضح هذه الرواية ، قال النووي : (هذه الأحاديث فسر بعضها بعضاً وفيها علم من أعلام النبوة والمراد أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة سواء قل أمرها قبل ذلك أم لا ؟ وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة)(٢) .

ويرى الدكتور السباعي : إن بعض الصحابة لم يفطن إلى تقييد الرسول بمن هو على ظهرها – اليوم – فظنوه على إطلاقه وأن الدنيا تنتهي بعد مائة سنة فنبههم إبن عمر إلى المقيد في لفظ الرسول – صلى الله عليه وسلم وبين لهم المراد منه .

وقد استقصى العلماء من كان آخر الصحابة موتاً فذكر الحافظ في الفتح أن أبا الطفيل عامر بن واثلة آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وفاته كانت سنة مائة من الهجرة(٣) .

وكل ما في الأمر أن الرسول بين لأصحابه أنهم لن يعمروا كما عمر من

---

١ – انظر تأويل مختلف الحديث ص ٩٩

٢ – النووى على مسلم ١٦/٩٠

٣ – فتح البارى ٢/٧٥

كان قبلهم من الأمم ولذلك عليهم أن يجدوا في طاعاتهم ويعملوا في دنياهم لآخرتهم وليس في هذا ما يخالف الحوادث الزمنية والمشاهدات التجريبية .

قال السباعي (فأنت ترى أن هذا الحديث الذي كان في الواقع معجزة من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ينقلب في منطق النقل الجديد الذي دعا إليه صاحب (فجر الإسلام) إلى أن يكون مكذوباً مفترى(١) .

وإن تعجب فأعجب من مؤلف فجر الإسلام فقد ذكر في آخر فصله أهم مراجع بحثه وفي مقدمتها فتح الباري والقسطلاني وشرح النووي على مسلم وهؤلاء الشراح نبهوا على معنى الحديث وبينوا تقسيم البخاري له في موضعين ، فإذا كان الأستاذ قد اطلع على روايات الحديث فكيف حكم بعد ذلك بكذبه ؟ وإن لم يطلع عليها فكيف عد تلك الشروح من مراجع بحثه بل كيف استباح الخوض في هذا الموضوع على غير هدى ؟

---

١ ـ السنة ومكانتها ص ٢٨١

الحديث الرابع

٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين . وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ »
قال الله تعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منكما ملؤها ، فالنار لا تمتلىء حتى يضع الله رجله فتقول : قط قط . فهنالك تمتلىء . ويزداد بعضها إلى بعض »(١) .

النقـــــد :

طعن أبو رية في هذا الحديث لا لشيء ـ إلا لأنه رواه أبو هريرة ـ وكل ما رواه أبو هريرة فهو عنده كذب وغير مقبول وإن كان ما رواه من محاسن الإسلام لأنه يرمي إلى أبي هريرة بعين ساخطة ترى الصحيح سقيماً والمستقيم معوجاً والحق باطلا .

الـــرد :

والحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة . ورواه مسلم عن أبي هريرة من طرق عدة لا يتطرق إليها الارتياب ورواه أيضاً عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً .

---

١ ـ رواه البخارى فى التفسير ٥٩٥/٨ وفى كتاب التوحيد بلفظ : (اختصمت الجنة والنار الى ربهما) ٤٣٤/١٣ ورواه مسلم فى صحيحه ٢١٨٦/٤ وهو عن ابى سعيد الخدرى نحوه الى قوله (ولكليكما على ملؤها) ولم يذكر ما بعده من الزيادة (٢١٨٧/٤) من صحيح مسلم .

وروى آخره عن أنس بن مالك .

فلو كان هو من رواية أبي هريرة وحده لما اقتضى هذا الطعن فيه فما بالك وقد روى عن غيره من الصحابة كما رأيت ، وبذلك انهار الأساس الذي بنى عليه كلامه وهو أنه من رواية أبي هريرة وحده وإذا كان أبو هريرة ليس بالعدل الثقة عنده فما رأيه والحديث ثبت عن غيره من الصحابة ؟

وإن كان وجه الإنكار هو أن الله تعالى يضع رجله ، ففي القرآن جاء إثبات اليد والوجه والعين وغير ذلك ، وإن كان وجه الإنكار أنهما تتخاصمان وتتكلمان فهل هذا مستنكر على الله الذي انطق كل شيء ، وهل يلزم من هذا التخاصم أن يفهمه أبو رية وإلا كان باطلا . قال النووي (هذا الحديث على ظاهره أن الله تعالى جعل في النار والجنة تمييزاً تدركان به فتحاجتا)(١) ويحتمل أن يكون بلسان الحال ، والله على كل شيء قدير .

وإن كان سبب الاستغراب والإنكار أن يأتي الله إلى النار ، فإن القرآن أثبت المجيء يوم القيامة :

« وجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صفّاً صفّاً »(٢) .

إن تحكيم العقل في مسألة الألوهية وصفاتها من سخافة العقل نفسه ، ولا تؤدي عند هؤلاء المغتربين بعقولهم إلا إلى الإلحاد والزندقة ، وذلك لأن العقل الإنساني مهما بلغ من الذروة والكمال يبقى قاصراً عن فهم كثير من الحقائق وخاصة المتعلقة منها بالألوهية وصفاتها والأمور التعبدية .

قال الشافعي : (كما أن للحواس حد تنتهي إليه ، كذلك العقل له حد ينتهي إليه ويقصر دونه) . وإذا كان العقل لا يزال عاجزاً عن معرفة سر الحياة في الإنسان نفسه، فكيف يستطيع أن يحيط بحقيقة خالق هذا الكون وصفاته؟

---

١ ـ انظر شرح مسلم ١٧/ ١٨٠

٢ ـ سورة الفجر آية ٢٢

ولله در الشاعر القائل :

يعـــترض العقل على خالـــق   من بعض مخـــلوقاته العقل

وإنما يستشكل هذا الحديث من لم يتذوق لغة العرب وأساليبهم في البيان والحديث سيق مساق التمثيل بجعل الجنة والنار بمنزلة شخصين عاقلين يتحاوران ويتجادلان ثم يفصل بينهما الحكم العدل بما فيه فصل الخطاب وفي لغة العرب كثير من ذلك .

قال الشاعر :

شكا إلى جميلي طـــول السرى   صبراً جميلي فكلانا مبتلى

ولا شكوى ولا كلام وإنما هو تمثيل (١) .

ثم لنفرض أن تحكيم العقل في الأحاديث هو الصواب ، فنحن نسأل : أي عقل تريدون أن تحكموه ؟

أعقل الفلاسفة ؟ إنهم مختلفون ، وما من متأخر منهم إلا وهو ينتقض قول من سبقه . أعقل الأدباء ؟ إنه ليس من شأنهم فإن عنايتهم بالنوادر والحكايات أعقل علماء الطب ، أم الهندسة ، أم الرياضيات ؟ ما لهم ولهذا ؟

أعقل المحدثين ؟ إنه لم يعجبكم ، بل إنكم تتهمونهم بالغباوة والبساطة .

أعقل الملحدين ؟ إنهم يريدون أن إيمانكم بوجود الله ، جهل منكم وخرافة.

أعقل أهل السنة والجماعة ؟ هذا لا يرضى الشيعة ، ولا المعتزلة .

أم عقل المعتزلة ؟ إنه لا يرضي جمهور طوائف المسلمين — إلا أبا رية الذي يقول : إنني ارتضي عقلهم لأنهم أصحاب العقول الصريحة(٢) .

إنه ليست القضية قضية عقل . إنه الإلحاد والزيغ والضلال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

١ ــ دفاع عن السنة لابى شهبة (١٩٦)

٢ ــ انظر السنة ومكانتها ص ٣٩

الحديث الخامس

٥ ـ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه (كله) ثم لينتزعه ، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء) (١) .

النقـــد :

علق أبو رية على الحديث في الحاشية بما سماه (معركة الذباب) بين مجلة لواء الإسلام ومجلة الدكتور وانتصر فيها لمجلة الدكتور وأنحى باللائمة و التثريب على المصححين لهذا الحديث ونبزهم بالألقاب .

الـــرد :

الحديث قد صح سنداً ومتناً عن هؤلاء الصحابة الثلاثة أبي هريرة وأبي سعيد وأنس ثبوتاً لا مجال فيه للشك كما ثبت صدق أبي هريرة في روايته عن رسول

---

(١) ورد هذا الحديث عن ابى هريرة من طرق :
١ ـ عن عبيد بن حنين سمعت ابا هريرة ... اخرجه البخارى ٣٢٩/٢ ، ٧١/٤ ـ ٧٢ والدارمى ٩٩/٢ وابن ماجة ٣٥٠٥ والامام احمد ٣٩٨/٢ وما بين القوسين زيادة له وهى للبخارى فى روايته عنه .
٢ ـ عن سعيد بن ابى سعيد رواه ابوداود من طريق احمد وهو فى المسند ٣٢٩/٣ و ٢٤٦
٣ ـ عن ثمامة بن عبد الله بن انس ... اخرجه احمد ٣٦٣/٣ ، ٣٥٥ ، ٣٨٨ وسنده صحيح على شرط مسلم .
٤ ـ عن محمد بن سيرين عنه عند احمد ٣٥٥/٢ ، ٣٨٨ وسنده صحيح وللحديث شواهد : رواه ابوسعيد بلفظ (ان احد جناحى الذباب سم والاخر شفاء فاذا وقع فى الطعام فاقتلوه فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء ـ رواه احمد ٦٧/٣ ، وابن ماجة ٣٥٠٩ والنسائى ١٩٣/٢ وابن حبان فى الثقات ١٠٢/٢ ، عن انس رواه الطبرانى فى الاوسط كما فى مجمع الزوائد ٣٨/٥

الله صلى الله عليه و سلم – رغم أنف الطاعنين ، بل ان الطاعن فيه هو الطاعن في هذا الحديث فقد رموا صحابياً بالبهت وردوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجرد عدم انطباقه على عقولهم المريضة ، والحال أنه رواه جماعة من الصحبة وليت شعري هل علم هؤلاء بعدم تفرد أبي هريرة بالحديث ، وهو حجة لو انفرد . فكيف وقد تابعه صحابيان جليلان ؟ .

ثم قالوا – منكرين – كيف يكون الذباب الذي هو مباءة الجراثيم فيه دواء ؟

وكيف يجمع الداء والدواء في شيء واحد ؟ وهل الذباب يعقل فيقدم أحد الجناحين على الآخر ؟

سبحان الله ! هل العقل يمنع أن يجمع الله الداء والدواء في شيء واحد بل هو معروف مشاهد ، فالنحلة تلقي السم من أسفلها وتخرج عسلا فيه شفاء للناس من فيها ، والحية القاتل سمها يدخل لحمها في الترياق الذي يعالج به السم ، والله الذي هدى النملة إلى أن تبني بيتها على أحسن نظام هندسي ، وهدى النملة إلى أن تدخر قوتها لأوان حاجتها لقادر على أن يلهم الذبابة أن تقدم جناحاً وتؤخر آخر . .

ثم ان كثيراً من الناس يتوهم أن هذا الحديث يخالف ما يقرره الطب وهو أن الذباب يحمل بأطرافه الجراثيم ، فإذا وقع في الطعام أو في الشراب علقت به تلك الجراثيم ، والحقيقة أن هذا الحديث لا يخالف الأطباء في ذلك بلى يؤيدهم إذ يخبران في أحد جناحيه داء ولكنه يزيد عليهم فيقول (وفي الآخر شفاء) .

فهذا مما لم يحيطوا بعلمه فوجب عليهم الإيمان به إن كانوا مسلمين وإلا فالتوقف إن كانوا من غيرهم ، إن كانوا عقلاء علماء ؟ وذلك لأن العلم الصحيح يشهد أن عدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه .

هذا على افتراض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث بالصحة حيث اختلفت آراء العلماء فيه ، ونحن بصفتنا مؤمنين بصحة الحديث وأن النبي صلى الله عليـــه وسلم (**لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى**) لا يهمنا كثيراً ثبوت الحديث من وجهة نظر الطب ، لأن الحديث برهان قائم في نفسه لا يحتاج إلى دعم خارجي .

الطـب الحديث يؤيد هذا الحديث

ومع ذلك فإن النفس تزيد إيماناً وفرحاً حين ترى الحديث الصحيح يوافقه العلم الصحيح ، فلهذا ألا يخلو من فائدة لو نقلت خلاصة المحاضرة التي ألقاها أحد الأطباء في جمعية الهداية الإسلامية في مصر حول هذا الحديث — قال : (يقع الذباب على المواد المملوءة بالجراثيم التي تنشأ منها الأمراض المختلفة فينتقل بعضها بأطرافه ويأكل بعضاً فيتكون في جسمه من ذلك مادة سامة يسميها علماء الطب بها مبعد البيكتريا) وهي تقتل كثيراً من جراثيم الأمراض ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها تأثير في جسم الإنسان في حالة وجود (مبعد البكتريا) وأن هناك خاصية في أحد جناحي الذباب هي أنه يحول البكتيريا إلى ناحيته . وعلى هذا فإذا سقط الذباب في شراب أو طعام وألقى الجراثيم العالقة بأطرافه في ذلك الشراب ، فإن أقرب مبيد لتلك الجراثيم وأول واق منها هو مبعد البكتريا الذي يحمله الذباب في جوفه قريباً من أحد جناحيه ، فإذا كان هناك داء فدواءه قريب منه ، وغمس الذباب كله ، وطرفه كاف لقتل الجراثيم التي كانت عالقة وكاف في إبطال عملها) .

ونقل الشيخ سعيد حوا تحقيقاً لطبيبين مصريين — محمود كمال ومحمـــد عبد المنعم — في إثبات ما في الحديث وفحوى التحقيق :

« ان بعض العلماء — وقد أورد أسماءهم وتواريخهم — قد استطاعوا عزل

مواد مضادة للحيوية من مزرعة للفطريات الموجودة على نفس جسم الذبابة فوجدوها ذات مفعول قوي على الجراثيم السالبة لصيغة غرام كالزحار والتيفوتيم وذات مفعول قوي على الجراثيم المسببة للحميات » . وهكذا يضع العلماء بأبحاثهم تفسيراً للحديث النبوي المؤكد لضرورة غمس الذبابة كلها في السائل والغذاء ليخرج من بطنها الدواء الذي يكافح ما تحمله من داء .

ويستنتج من ذلك أن العلم الحديث قد حقق بعد قرون طويلة ـ ما أخبر به صلى الله عليه وسلم

الحديث السادس

٦ — عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(ان موسى عليه السلام لطم عين ملك الموت فأعوره) (١) .

النقـــد :

قال بعض أهل الإلحاد : إن جاز على ملك الموت العور جاز عليه العمى قال : ولعل عيسى عليه السلام قد لطم عينه الأخرى فأعماه لأنه أشد كراهية للموت من موسى عليه السلام وذلك أنه قال :

(اللهم إن كنت صارفاً هذه الكأس عن أحد فاصرفها عني) (٢) .

وأما أبو رية فقد قال عن الحديث : ان رائحة الإسرائيلية لتفوح من هذا الحديث .

---

١ — رواه البخاری ٢٥٢/٧ فی كتاب الانبياء والامام مسلم ١٨٤٣/٤ بلفظ (جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال له اجب ربك قال فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها ، قال : فرجع الملك الى الله تعالى فقال : انك ارسلتنى الى عبد لك لايريد الموت وقد فقأ عينى قال فرد اللـــه اليه عينه وقال ارجع الى عبدى فقل : الحياة تريد ؟ فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما تواري يدك من شعرة فانك تعيش بها ســـنة قال : ثم مه ؟ قال ثم تموت قال : فالان من قـــريب رب امتنى من الارض المقدسة رمية حجر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو انى عنـده لاريتكم قبره الى جانب الطريق ، عند الكثيب الاحمر .

٢ — انظر تأويل مختلف الحديث ص ٢٧٦ ومشكل الحديث وبيـــانه ص ٣٢٣

الـــرد :

هذا الحديث صحيح سنداً ومتناً كما رأيت ، اتفق عليه الشيخان .

ان الله تعالى قد جعل للملائكة من الاستطاعة ، أن تتمثل في صور مختلفة وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي وفي صورة أعرابي — وقال تعالى :

« فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا) (١) .

فإن قال قائل : كيف ساغ لنبي أن يلطم عين ملك الموت ؟

قال القسطلاني (أرسل الله ملك الموت إلى موسى عليهما السلام في صورة آدمي اختباراً وابتلاء ، فلما جاءه ملك الموت بهذه الصورة ظنه آدمياً حقيقة تسور عليه منزله بغير إذنه ليوقع به مكروهاً ، فلما تسور عليه صكه — لطمه — على عينه التي ركبت في الصورة البشرية التي جاء فيها دون الصورة الملكية (٢) .

فإن قال قائل : كيف ساغ لنبي أن يلطم عين ملك الموت وإن كان على صورة أخرى ؟

قيل لقد قال بعض أصحابنا فيه : انما ينتقل فيه هذه الأمثلة تخيلات ، وأن اللطمة أذهبت العين التي هي تخيل وليست بحقيقة .

ومنهم من قال أن معنى قوله : لطم موسى عليه السلام عين ملك الموت (هو) توسع في الكلام وهو نحو ما يحكى عن علي رضي الله عنه أنه قال : (أنا فقأت عين الفتنة) يريد بذلك إلزام موسى ملك الموت الحجة حين راده في قبض روحه على حسب ما روي في الخبر .

وخلاصة ما أجيب على اعتراضات هذا الحديث :

---

١ — سورة مريم آية ١٧

٢ — انظر مشكل الحديث لابن فورك ص ٣٣٤

١ – أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه السلام قد أذن الله له في تلك اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم .

٢ – ان ذلك على المجاز ، وأن المراد أن موسى عليه السلام ناظره فغلبه بالحجة ، وهذا بعيد عن ظاهر الحديث .

٣ – ان موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك الموت وظن أنه رجل فصده يريد نفسه مدافعة عنها ، فأدت المدافعة إلى فقءْ عينه ، لا أنه قصدها بالفقءْ (١) .

وقد رجح ابن قتيبة القول بالمجاز ، مهما كان الأمر فلا سبيل هناك إلى الطعن في الحديث (٢) .

١ – انظر مشكل الحديث ص ٣٣٣ – ٣٣٥
٢ – تأويل مختلف الحديث ص ٢٧٨

الحديث السابع

٧ - عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) (١) .

النقـــد :

هذا الحديث من الأحاديث التي تعرضت لنقد الدكتور أبي شادي في كتابه (ثورة الإسلام ص ٤٥) يقول : (وما هي إلا أمثلة قليلة من كثير من سخف ينسب إلى صاحب أعظم شريعة عقلية قضت على الخرافات والأباطيل في عصرها ووضعت الأسس لتقدم البشرية المتواصل) .

الـــرد :

هذا الكلام الذي يسرده المؤلف جزافاً يدل على جهله المركب بأصول الإسلام وتشريعه وأحكامه ، والغريب أنه يعترف بأن محمداً صلى الله عليه وسلم صاحب أعظم شريعة عقلية قضت على الخرافات والأباطيل في عصرها ، فيا ترى هل يعتبر المؤلف هذا الحديث من الخرافات والأباطيل ، وما وجه

---

١ - رواه البخارى فى كتاب الجنائز ١٥١/٣ وفى لفظ له (فى قبره) وفى المغازى واخرجه مسلم فى الجنائز ٦٣٨/٢ ، ٦٣٩ بلفظين (ببكاء أهله عليه) و (بما نيح عليه) . وابوداود فى الجنائز ٤٩٤/٣ . واخرجه الترمذى ٨٢/٤ وابن ماجه ٥٠٨/١ والامام احمد فى المسند ٢٦/١ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ (٦١/٢) (٢٤٥/٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٤٣٧) (٣٨١/٦) ورواه الحاكم ٣٨١/١ ، ٣٨٢

الإنكار ؟ ان الخطب أعظم من هذا أن المؤلف لا يؤمن بحياة أخرى للميت بعد موته في قبره ، لهذا لم يستسغه عقله وأنه كيف يعذب الميت بفعل غيره وقد انقطع عمله ؟

ان المؤلف كثيراً ما يتغنى بالعقل ، وأن الإسلام هو دين العقل وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو صاحب أعظم شريعة عقلية ، يقول في ص (١٦٩) ان الإسلام الكريم يحترم العقل كما يحترم البحث . . .) فإذا كان الإسلام دين العقل فهل العقل يرفض وجود الحياة الأخرى ؟

ان وجه الإنكار عنده أنه كيف يعذب الميت بعمل غيره وقد قال تعالى :

« وَأَن لَيْسَ للإنْسان إلاَّ مَا سَعَى » .

والعمومات الأخرى ؟

وللجواب على هذا قال الحافظ (لا مانع في سلوك طريق الجمع من تخصيص بعض العمومات وتقييد بعض المطلقات ، فالحديث وإن كان دالا على تعذيب كل ميت بكل بكاء ، لكن دلت أدلة أخرى على تخصيص ذلك ببعض البكاء كما سيأتي . وتقييد ذلك بمن كانت تلك سنته أو أهمل النهي عن ذلك ، فالمعنى على هذا أن الذي يعذب ببعض بكاء أهله من كان راضياً بذلك بأن تكون تلك طريقته (١) .

وقال النووي (وذهب الجمهور إلى تأويل هذه الأحاديث لمخالفتها للعمومات القرآنية وإثباتها لتعذيب من لا ذنب له – واختلفوا في التأويل ، فذهب جمهورهم إلى تأويلها بأن أوصى أن يبكى عليه لأنه بسببه ومنسوب إليه قالوا : وقد كان ذلك من عادة العرب كما قال طرفة بن العبد .

إذا مت فابكيني بمـــا أنا أهله ... وشقي على الحبيب يا أم معبـــد

---

١ ـ فتح البارى ١٥٣/٣ وذكر عدة تأويلات

قال ابن المبارك (أرجو ان كان ينهاهم في حياته ألا يكون عليه من ذلك شيء) (١) .

هذا هو مذهب الجمهور وأنه لا بد من تأويل للجمع بين الحديث والعمومات الأخرى ، وهذا مذهب صحيح أخذ به الجماهير وبه يمكن الأخذ بجميع الأدلة ، ولكن إذا كابر أحد هذا المذهب قائلا انه لا يقبل التأويل فإننا نقول له :

« ان الميت يؤذيه من عمل أهله أشياء محظورة أقترفوها ، كما يسوؤه ويحزنه أن ينوح عليه أحد من أهله ، والإساءة والحزن عذاب » وهذا غير محتاج إلى تأويل « أ ـ هـ » والله أعلم .

---

١ ـ تحفة الاحوذى ٨٢/٤

الحديث الثامن

٨ – عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم) (١) .

النقـــد :

يقول صاحب ضحى الإسلام (٢) : (ولكنهم لم يتوسعوا كثيراً في النقد الداخلي فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أم لا ؟ مثال ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم)

---

١ – رواه البخارى فى كتاب الطب (١٦٣/١٠) والترمذى (٢٣٤/٦) فى الطب ايضا ، وابن ماجة (١١٤٢/٢) ٠ والامام مسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل الى قوله (للعين ١٦١٩/٣ – ١٦٢١) والامام احمد فى المسـند (١٧٨/١ – ١٨٨) (٣٠١/٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٤٢١ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٥١١) (٤٨/٣) (٣٤٦/٥ ، ٣٥١)
ومعنى الحديث (قال الحافظ : الكمأة نبات لا ورق لها ولا ساق توجد فى الارض من غير ان تزرع قيل سميت بذلك لاستتارها ، يقال كمأ الشـهادة اذا كتمها ومادة الكمأة من جوهر أرض بخاري يحتقن نحو سطح الارض ببرد الشتاء وينميه مطر الربيع فيتولد ويندفع متجسما ٠٠) ٠قوله (مـن المن) ذكر فيه ثلاثة اقوال – احسنها عندى انه المصدر بمعنى المفعول : اى ممنون به فلما لم يكن للعبد فيه شائبة كسب كان منا محضـا وان كانت جميع نعم الله على عباده منا منه عليهم لكن خص هذا باسم المن لكونه لا صنع فيه لاحد ٠٠) انظر فتح البارى ١٦٣/١٠ – ١٦٤ ٠
٢ – ١٣١/٢

فهل اتجهوا في نقد الحديث إلى امتحان الكمأة ؟ وهل فيها مادة تشفي العين أو العجوة وهل فيها ترياق ؟ نعم انهم رووا أن أبا هريرة قال (أخذت ثلاث اكمؤ أو خمساً أو سبعاً فعصرتهن في قارورة وكحلت به جارية لي عمشاء فبرأت) ولكن هذا لا يكفي لصحة الحديث فتجربة جزئية نفع فيها شيء مرة لا تكفي منطقياً لإثبات الشيء في ثبت الأدوية إنما الطريقة التي تجرب مراراً وخير من ذلك أن تحلل لتعرف عناصرها ، فإذا لم يكن التحليل في ذلك العصر ممكناً فلتكن التجربة مع الاستقراء ، فكان مثل هذا طريقاً لمعرفة صحة الحديث أو وضعه .

الـــرد :

ان الحديث صحيح ثابت في الصحيحين وغيرهما وسنده من ناحية النقد متين ليس في رواته متهم . ثم ان أبا هريرة جرب هذا الحديث فوجده صحيحاً ، وجربه غيره كثيرون فوجدوه صحيحاً .

شهادة تاريخية فى تأييد الحديث

قال النووي (وقد رأيت أنا وغيري في زمننا من كان عمى وذهب بصره حقيقة فكحل بماء الكمأة مجرداً فشفي وعاد إليه بصره وهو الشيخ العدل الأمين الكمال بن عبد الله الدمشقي صاحبُ صلاحٍ ، ورواية للحديث وكان استعماله لماء الكمأة اعتقاده في الحديث وتبركاً به (١) .

وذكر ابن القيم في الهدي النبوي (٢) اعتراف مشاهير الأطباء قديماً بأن ماء الكمأة يجلو البصر ، منهم المسيحي وابن سيناء وغيرهما وذكروا بأن فيها جوهراً يدل على خفتها والاكتحال به نافع لظلمة البصر والرمد الحار .

---

١ ـ مسلم ٣/١٦٢٠

٢ ـ ٣/١٨١

وقال ابن البيطار : مادة الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن بماء الاثمد واكتحل به فإنه يقوي الجفن ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة (١) .

فالعلماء والأطباء لم يقصروا في التجربة . وما أدري ما الذي يريد مؤلف ضحى الإسلام ، هل يريد أن يقوم كل شخص إلى كمية من الكمأة ثم يعصرها ويقطر عينه بمائها ونحن نقول له إن أبا هريرة والنووي والأطباء قديماً قد جربوا الكمأة فوجدوها نافعة ، فهل هو قام بمثل هذه التجربة فأصابه مكروه ؟ أم هل سمع أن أحداً فعل ذلك فأصابه مكروه فهل هو قام باستقراء جميع جزئيات الكمأة على اختلاف أنواعها فوجدها تخالف الحديث ؟ انه ليس شيء من ذلك إلا المكابرة والزيغ والانحراف ؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

١ ـ السنة ومكانتها ص ٢٧٦

الحديث التاسع

٩ ـ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية انتقص من أجره كل يوم قيراطان)

فقيل لابن عمر إن أبا هريرة يزيد في الرواية (أو كلب زرع) فقال ابن عمر (ان لأبي هريرة زرعا) (١) .

النقــــد :

قال صاحب ضحى الإسلام بعد ذكر الحديث (وهذا نقد من ابن عمر لطيف في الباعث النفسي ، يريد ان ابن عمر اتهم أبا هريرة بزيادة (أو كلب زرع) في لفظ الحديث لأنه كان صاحب زرع فزادها تبريراً لاتخاذه الكلب لزرعه (٢) .

الــرد :

ان كان المؤلف يريد الطعن في أبي هريرة ، فإن أبا هريرة لم ينفرد بهذه الزيادة ، بل ان بعض الصحابة قد وافق أبا هريرة على روايته تلك الزيادة ، وأن غيره سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا في شواهد الحديث .

---

١ ـ رواه البخارى (٦/٥) و (٦٠٨/٩) بالفاظ مختلفة . ومسلم (١٢٠٠/٣) والنسائى (١٨٩/٧) وابن ماجه (١٠٦٩/٢) حديث رقم ٣٢٠٤ من غير زيادة ابن عمر وله شاهد عن ابى هريرة عن البخارى م و (٥/٥) وشاهد عند مسلم (١٢٠٢/٣)

٢ ـ ١٣١/١ ، ١٣٢

أما الطعنة التي استنتجها المؤلف من قول ابن عمر والذي عبر عنها بقوله (وهذا نقد من ابن عمر لطيف . .) فقد تعرض الشراح لها وبينوا مراد ابن عمر من مقالته .

قال الحافظ (ان ابن عمر أراد بذلك الإشارة إلى تثبيت رواية أبي هريرة وأن سبب حفظه لهذه الزيادة دونه أنه كان صاحب زرع دونه ومن كان مشتغلا بشيء احتاج إلى تعرف أحكامه (١) .

قال ابن عبد البر : في هذا الحديث إباحة اتخاذ الكلب للصيد والماشية وكذلك الزرع لأنها زيادة حفظ . وزيادة الثقة مقبولة كما هو مقرر في أصول الحديث إذا كان هذا في غير الصحابة فما ظنك في الصحابة وهم عدول عدول عدول .

وقال النووي عند قول ابن عمر ليس هذا توهيناً لرواية أبي هريرة وشكاً فيها بل معناه أنه لما كان صاحب زرع وحرث اعتنى بذلك وحفظه وأتقنه .

وقد ذكر مسلم في الزيادة من رواية ابن مغفل ومن رواية سفيان بن زهير ومن رواية ابن الحكم عن ابن عمر (ولو انفرد بها لكانت مقبولة ، كيف وقد وافقه غيره . (٢)

ومن هنا تعرف الحقيقة الصحيحة ، وأن ابن عمر لم يكذب أبا هريرة وكيف يكذبه وقد سبق أنه اعترف أن أبا هريرة كان أحفظهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

١ ـ ٥/٦

٢ ـ انظر شرح مسلم للنووى ٦/٥٥٥ وتحفة الاحوذى ٥/٦٦

ومن هنا تعرف عدم أمانة مؤلف فجر الإسلام التي أبت عليه أن يبين الباعث الحقيقي لهذه الزيادة والعجيب أنه يرشدنا إلى النووي ، وهل في كلام النووي – المار آنفاً – رائحة التكذيب من ابن عمر لأبي هريرة ؟ انه ليس في شيء من ذلك إلا الخيانة العلمية واتباع أهواء المستشرقين الحاقدين على الإسلام وأهله ، نسأل الله السلامة .

الحديث العاشر

١٠ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ان الشمس والقمر ثوران مكوران « في النار » يوم القيامة) (١) .

فقال الحسن وما ذنبهما ؟ قال :

اني أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسكت .

قالوا صدق الحسن (ما ذنبهما) .

النقـــد :

قال أبو رية (ومما يذكر أن هذا الحبر – يعني كعبا – الداهية قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلام هذا الكاهن بالنص ويجعله حديثاً مرفوعاً ما نورد لك شيئاً منه . . ثم ذكر هذا الحديث . .)

الـــرد :

ان أبا رية كعادته يحاول إيقاع الطعن على أبي هريرة رضي الله عنه لكن لو سألناه ما وجه الإنكار في هذا الحديث ؟

إن كان هو المتن الذي رواه البخاري فمعناه في كتاب الله : قال تعالى :

« **وَخَسَفَ القَمَرُ ۞ وجُمِعَ الشَّمْسُ والقَمَرُ** ۞ » (٢)

وقال تعالي : « **إذَا الشَّمس كوِّرت** » (٣)

---

١ – رواه البخارى (٢١٤/٦) فى بدء الخلق ٠ وفى فتح البارى ان البزار والاسماعيلى والخطابى اخرجوه من طريق يونس بن محمد عن عبد العزيز بن المختار وزادوا بعد كلمة (مكوران) : فى النار ٠

٢ – سورة القيامة الآيتان ٨–٩

٣ – سورة التكوير آية (١) ٠

وزيادة غير البخاري (في النار) يشهد لها قوله تعالى :

« انكُم وَمَا تعبُدون َ مِن دُونِ الله حَصب جَهنّم » .

وفي صحيح البخاري (١) « ثم ينادي مناد : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم) .

وفيه : (يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت . . .) .

وهذا يوافق قوله تعالى في فرعون

« يقدم قومه يَوْمَ القيامَة فأوردهُم النّار » .

فإن قيل وما ذنبهما حتى يعذبان ؟ فإنه مثل رجل سمع بقوله تعالى :

« فاتقُوا النّارَ الّتي وقُودها النّاسُ والحجَارَة » .

فقال : ما ذنب الحجارة . (٢)

قلت : قد أجاب عن ذلك الخطابي فقال :

(ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك ولكن تبكيت لمن كان يعبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهم كانت باطلة) .

ولا شك في أن جمع العابد والمعبود في النار غاية التوبيخ والسخرية والإيلام (٣)

قال الإسماعيلي : لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما ، فإن لله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذاباً وآلة من آلات العذاب وما شاء الله من ذلك فلا تكون هي معذبة ((٤) .

---

١ ـ ٤١٩/١٣

٢ ـ تأويل مختلف الحديث ص ١٠٢

٣ ـ فتح البارى ٢١٤/٦

٤ ـ فتح البارى (٢١٤/٦)

فإن قيل كيف يؤتى بالشمس والقمر (يكوران ويلقيان في النار والنار تضيق بالقمر فضلا عن الشمس ؟ وهذا أمر يعلمه أهل الفلك .

قلنا ان ذلك سيكون يوم القيامة وأحوال يوم القيامة لا تقاس على أحوال الدنيا فتستبدل الأرض غير الأرض والسموات وسيغير نظام العالم الذي هو عليه اليوم ، وشواهده في القرآن كثيرة .

هذا لا يشكك فيه موحد ، وأما الملحدون فللحديث معهم طريق آخر وأسلوب مغاير .

وبهذا ترى أن الحديث صحيح ومزاعم أبي رية ذهبت هباء منثورا (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون) .

الحديث الحادى عشر

١١ — عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال السلام عليكم : فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . فزادوه : ورحمة الله . فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) (١) .

النقـــد :

قال أبو رية : (٢) هذا الكلام قد جاء في الإصحاح الأول من التوراة — العهد القديم — ونصه هناك (وخلق الله الإنسان على صورته — على صورة الله خلقه) .

يريد أن أبا هريرة أخذه من كعب ثم رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

الـــرد :

الحديث صحيح سنداً ومتناً اتفق على صحته الإمامان الجليلان البخاري ومسلم ولا ضير على أبي هريرة أن يكون ما رواه من الحديث موافقاً لمـــا

---

١ — رواه البخارى فى الاستئذان (٣/١١) وفى بدء الخلق ورواه الامام مسلم ٢١٨٣/٤ والامام احمد ٢٤٤/٢ ، ٢٥١ ، ٣١٥ ، ٣٢٣ ، ٤٣٤ ، ٤٦٣ ، ٥١٩ .

٢ — ص ١٧٤

في التوراة ، فالكل من عند الله ووحيه ، والقرآن والسنة الصحيحة هما المهيمنان والشاهدان على الكتب السابقة ولم يدخله تحريف ولا تبديل – قال تعالى :

« وأنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقّ مُصَدّقاً لما بَيْنَ يدَيْه مِن الكِتابِ ومُهَيْمِناً عليْه » . (١)

وقد تأول المتأولون الحديث على وجوه كثيرة أظهرها :

١ – ان هذا الخبر خرج على سبب وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يضرب عبده في وجهه لطماً ويقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك ، فقال صلى الله عليه وسلم :

(إذا ضرب أحدكم عبده فليتق الوجه فإن الله خلق آدم . . .)

وإنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لأنه سمعه يقول : (قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك) وذلك سب للأنبياء والمرسلين والمؤمنين إذ خلق وجه الإنسان على صورة آدم ، وآدم نبي من الأنبياء ، وهذا معنى سب الأنبياء والمرسلين .

٢ – ان الكناية في قوله (صورته) ترجع إلى آدم وذلك ينقسم إلى وجوه :

١ – أن يكون معناه وفائدته تعريفنا نعمة الله على أبينا آدم عليه السلام أن فضله بأن خلقه بيده وأسكنه جنته . . ثم عصاه وخالفه فلم يعاقبه على ذلك بسائر ما عاقب به المخالفين له في نحوه . فعرفنا صلى الله عليه وسلم بذلك أن أباكم آدم عليه السلام كان في الجنة على الصورة التي كان عليها في الدنيا لم يغير الله خلقته وتكون فائدة ذلك تعريفنا الفرق بينه وبين سائر من أخرجه من الجنة معه وابانته منهم في الرتبة والدرجة .

٢ – إذا قلنا ان الهاء يرجع إلى آدم فسبيله أن النبي عليه السلام أفادنا

---

١ – سورة المائدة آية ٤٨

ابطال قول أهل الذمة أنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا نطفة إلا من إنسان ، وفائدته : أنه خلقه من صلصال كالفخار ثم خلق فيه الروح ولم يكن قط في صلب ولا رحم ولا كان علقة ولا مضغة بل خلق ابتداء بشراً سويا . (١)

٣ ـ ان الهاء إلى آدم عليه السلام والفائدة أن الله خلق آدم على الصورة التي كان عليها من غير ان كان ذلك حادثاً أو شيئاً منه عن توليد عضو أو تأثير طبع أو فلك أو ليل أو نهار ـ ابطالا لقول الطبائعيين .

٤ ـ ان الهاء راجعة إلى الله (من طريق الإضافة إلى الله على وجه التخصيص والتشريف) مثل ناقة الله وبيت الله .

وقد رد ابن فورك على ابن قتيبة على قوله في هذا الحديث (ان الله عز وجل صورة لا كالصور كما أنه شيء لا كالأشياء) وقال : هذا فاسد ، لا يليق بالله عز وجل لاقتضاءه أن يكون مؤلفاً مركباً ذو حد ونهاية وبعض وغاية) (٢)

وقال ابن الجوزي (هذا تخليط وتهافت لأن معنى كلامه أن صورة آدم كصورة الحق تعالى) . (٣)

وقال أيضاً : إعلم أن في هذه الأحاديث دقائق وآفات لا يعرفها إلا العلماء والفقهاء ، وخلاصة ما قال : للناس في هذا مذهبان :

١ ـ السكوت عن تفسيره .

٢ ـ الكلام في معناه .

واختلف أرباب الكلام على ثلاثة أقوال في الهاء :

١ ـ انها تعود إلى بعض بني آدم كما مر في السبب .

---

١ ـ مشكل الحديث ص ٢٤٧

٢ ـ انظر مشكل الحديث وبيان لابن فورك ص ٦٩

٣ ـ انظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزى

٢ ــ انها كناية عن اسمين ظاهرين فلا يصلح أن تصرف إلى الله لقيام الدليل انه تعالى ليس بذي صورة فعادت إلى بني آدم .

ومعنى الحديث : أن الله خلق آدم على صورته التي خلفه عليها تاماً لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه .

٣ ــ انها تعود إلى الله تعالى وفي ذلك قولان :

١ ــ أن تكون صورة ملك لأنها فعله وخلقه فتكون إضافتها إليه من وجهين :

(أ) التشريف بالإضافة كقوله :

« وطَهِّر بَيْتِي للطَّائِفين » .

(ب) ابتدعها لأعلى مثال سبق .

٢ ــ أن تكون الصورة بمعنى الصفة . تقول هذه صورة هذا الأمر : أي صفته ، ويكون خلق آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة . . ميزة بذلك على جميع الحيوانات . (١)

---

١ ــ انظر دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .

الحديث الثانى عشر

١٢ ـ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)(١) .

النقـــد :

قال أبو رية(٢) من كذب عليّ متعمداً . .

وذكر ما قاله الحافظ من ورود الحديث في بعض رواياته بدون (متعمداً) وفي بعضها بذكرها ثم قال (ولكن من حقق النظر وأبعد النجعة في مطارح البحث يجد أن الروايات الصحيحة التي جاءت عن كبار الصحابة ، ومنهم من الخلفاء الراشدين لم تكن فيها كلمة (متعمداً) وكل ذمي يستبعد أن يكون

---

١ ـ رواه البخارى فى الادب (٥٨٧/١٠) كما رواه فـــى كتـــاب الجنائز والعلم والانبياء ومسلم فى الزهد (٩/١ ، ١٠) عن انس وابـــى هريرة ومغيرة كلهم قالوا (متعمـــدا) · وابوداود فى العلـــم (٦٣/٤) والترمذى فى العلم (٤١٩/٧ ، ٤٢١ ، ٤٣٢) وفى التفسير (٢٧٨/٨) عن ابن عباس وابن ماجه فى المقدمة (١٣/١ ، ١٤) عن ابن مســعود وانس وجابر والزبير وابى سعيد كلهم ذكروا (متعمدا) وعن على وابى هريرة وابى قتادة بدون ذكره ورواه الدارمى (٦٦/١ ، ٦٧) عن جابر وابن عباس وعبد الله بن يعلى · وابى قتادة كلهم بلفظ (متعمدا) وعن الزبير من غيره· وكذلك (١١١/١) والامام احمد فى مسنده (٤٧/٢ ، ٨٣ ، ١٢٣ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ٢٠٢ ، ٢١٤ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤٦٩ ، ٥١٩) و (١٣/٣ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٩٨ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٧٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢٢٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٠٣ ، ٤٢٢) (٤٧/٤ ، ١٠٠ ، ١٥٦ ، ٢٠١ ، ٢٦٧) (٢٤٥/٥ ، ٢٩٢ ، ٤٣٢)

٢ ـ ص ٣٨

يكون النبي قد نطق بها . . ولعل هذه الكلمة قد تسللت إلى هذا الحديث من طريق الإدراج المعروف عند العلماء ليسوغ بها الذين يضعون الحديث على رسول الله حسبة . من غير عمد -أو يتكى عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم أو بسوء الفهم لكي لا يكون عليهم حرج في ذلك ، لأن المخطيء غير مأثوم . .) .

الـــــرد :

قلت : روى هذا الحديث من طرق كثيرة عن جماعة غفيرة من الصحابة في الصحيحين وغيرهما وقد أوصلها بعض المحدثين إلى المائة ما بين صحيح وحسن وضعيف ، والحق أن الحديث روى بهذا اللفظ (متعمداً) من طريق تصل به إلى درجة المتواتر كما حقق الحافظ ذلك في الفتح(١) . ثم إنه لم يصح عن أحد من الخلفاء إلا عن علي في الصحيحين وعثمان في غير الصحيحين لا عن ثلاثة لا عن ثلاثة من الخلفاء كما زعم .

وقد جاء كلمة (متعمداً) في أغلب روايات الصحيحين وغيرهما من الكتب المعتمدة وطرق ذكرتها أكثر من طرق تركتها وأقوى — كما ذكرنا في التخريج .

والقاعدة عند نقاد الحديث (إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى) وهنا ترجح روايات ذكر اللفظ ويحمل المطلق على المقيد .

ومن دواعي ترجيح الزيادة أنها جاءت عن الزبير بن العوام في مستخرج الإسماعيلي وفي سنن ابن ماجة ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

أما زعمه (أن هذه الكلمة وضعت ليسوغ بها . .) فغير مقبول .

---

١ ـ الفتح ١/١٦٤

كيف يجتمع الوضع حسبة مع عدم التعمد ؟ إن معنى الحسبة أن يقصد الواضع وجه الله وثوابه ، وهل يرجى وجه الله وثوابه بالكذب على رسول الله إلا على مذهب جهلة الصوفية والكرامية القائلين : إنا نكذب لرسول الله لا على رسول الله ! وهو باطل .

أما قوله (إنها أدرجت ليتكيء عليها الرواة . . الخ . فمردود لأن رفع إثم الخطأ والنسيان ليس بهذه الكلمة وإنما بادلة أخرى .

إن السر في ذكرها أن الحديث لما ترتب وعيداً شديداً على الكذب ، والمخطيء والناسي والساهي لا إثم عليهم كان من الدقة والحيطة في التعبير التقييد بالعمد وذلك لرفع توهم الإثم على المخطيء والناسي .

وأما نقله عن الحافظ أنه لا يرى تواتر هذا الحديث حيث قال(١) : « ولأجل كثرة طرقه أطلق عليه جماعة أنه متواتر ونازع بعض مشائخنا في ذلك لأن شرط المتواتر استواء طرفيه وما بينهما في الكثرة وليست موجودة في كل طريق منها) اقتصر على هذا القدر متبعاً طريقة (لا تقربوا الصلاة) وترك (وأنتم سكارى) وقد ترك ما ذكره الحافظ بعد هذا ما نصه(٢) (وأجيب بأن المراد باطلاق كونه متواتراً رواية المجموع عن المجموع من ابتدائه إلى انتهائه في كل عصر ، وهذا كاف في إفادة العلم ، وأيضاً فطريق أنس وحدها قد رواها عنه العدد الكثير وتواترت عنهم . فلو قيل في كل منها أنه متواتر عن صحابيه لكان صحيحاً ، فإن العدد المعين لا يشترط في المتواتر بل ما أفاد العلم وكفى . .) .

وأما ما ذكره في الحاشية(٣) أن ادعياء السنة وعبيد الأسانيد في عصرنا

---

١ ـ ص ٤٢

٢ ـ فتح البارى ١/١٦٤

٣ ـ ص ٣٩

لا يزالون يكابرون في إثبات الزيادة فهو من قلة حيائه وسخفه وجرأته المذمومة وجهله المركب فهل هو أعلم بالحديث من البخاري ومسلم والدار قطني وأحمد بن حنبل وابن حجر والعيني ؟ وصدق النبي الحكيم :

« إذا لم تستح فاصنع ما شئت » .

كانت هذه طائفة من الأحاديث التي تعرضت لنقد المستشرقين وتلامذتهم وقد فندنا شبهاتهم حولها وهذا غيض من فيض ولا يمكن الاستقصاء لجميع مزاعمهم في هذا المختصر .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمـــد وآله وصحبه وسلم .

الفهـرس

الموضوع	صفحة

ثبت المصادر والمراجع

١ ـ الاجوبة الفاضلة للاسئلة العشرة الكاملة للامام اللكنوى وعليها التعليقات الحافلة للشيخ عبد الفتاح ابو غدة طبع حلب .

٢ ـ الاحكام لابن حزم

٣ ـ ارشاد الفحول للشوكانى

٤ ـ الاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر .

٥ ـ اضواء على السنة المحمدية لمحمود ابورية .

٦ ـ الانوار الكاشفة للمعلمى

٧ ـ البداية والنهاية لابن كثير .

٨ ـ تارخ الاسلام للذهبي .

٩ ـ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .

١٠ ـ تحفة الاحوذى فى شرح الجامع الترمذى للمباركفورى .

١١ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي .

١٢ ـ تفسير ابن كثير .

١٣ ـ تفسير المنار للشيخ رشيد رضا .

١٤ ـ تقييد العلم للخطيب البغدادى .

١٥ ـ توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائرى .

١٦ ـ تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر .

١٧ ـ ثورة الاسلام للدكتور أحمد ابو شادى .

١٨ ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

١٩ ـ جامع الترمذى للامام الترمذى .

٢٠ ـ الجامع لاحكام القرآن للقرطبى .

٢١ ـ حجية السنة لمحمد لقمان السلفى (المطبوعة على الالة الكاتبة) .

٢٢ ـ دائرة المعارف الاسلامية لجماعة من المستشرقين .

٢٣ ـ دراسات فى الحديث النبوى للدكتور مصطفى الاعظمى .

٢٤ ـ دفاع عن ابى هريرة للشيخ عبد المنعم صالح العزى .

٢٥ ـ دفاع عن السنة للدكتور محمد ابى شهبة .

٢٦ ـ دفاع عن العقيدة والشريعة للشيخ محمد الغزالى ٠
٢٧ ـ دفع شبهة التشبيه لابن الجوزى ٠
٢٨ ـ الرسالة للامام الشافعى ٠
٢٩ ـ السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للدكتور مصطفى السباعى ٠
٣٠ ـ السنة الاسلامية للدكتور رؤوف شلبى ٠
٣١ ـ السنة قبل التدوين لمحمد الخطيب ٠
٣٢ ـ سنت كى أيينى حيثيت للاستاذ المودودى (فى الاردية) ٠
٣٣ ـ سنن ابى داؤود مع معالم السنن للخطابى ٠
٣٤ ـ سنن الدارمى ٠
٣٥ ـ سنن ابن ماجة ٠
٣٦ ـ سير اعلام النبلاء للذهبي
٣٧ ـ صحيح البخارى مع حاشية السندى ٠
٣٨ ـ صحيح مسلم ٠
٣٩ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ٠
٤٠ ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية لابى الحسن الندوى ٠
٤١ ـ ضحى الاسلام لاحمد أمين ٠
٤٢ ـ الطب النبوى لابن قيم الجوزية ٠
٤٣ ـ طبقات ابن سـعد ٠
٤٤ ـ العقيدة الطحاوية مع شرح ابن ابى العز ٠
٤٥ ـ علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى السالم ٠
٤٦ ـ فتح البارى للحافظ ابن حجر ٠
٤٧ ـ فجر الاسلام لاحمد أمين ٠
٤٨ ـ فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها للشيخ خادم حسين (المطبوعة على الآلة الكاتبة) ٠
٤٩ ـ الفـرق بين الفـرق ٠
٥٠ ـ القاموس المحيط للفيروز أبادى ٠
٥١ ـ القواعد في علوم الحديث للعلامة ظفر أحمد التهانوى ٠
٥٢ ـ لسان العرب لابن منظور ٠

٥٣ـ الكفاية فى علوم الرواية للخطيب البغدادى .
٥٤ ـ ليس من الاسلام للغزالى .
٥٥ ـ مجمع الزوائـد للهيثمى .
٥٦ ـ المجموع للنووى المستدرك للحاكم .
٥٧ ـ مسند الامـام أحمـد
٥٨ ـ مشكل الحديث وبيـانه لابن فـورك .
٥٩ ـ المعجم المفهرس للحديث النبـوى
٦٠ ـ مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة للسيوطى .
٦١ ـ مفتريات عـلى الاسـلام .
٦٢ ـ مقام حديث لغلام أحمد برويز .
٦٣ ـ مؤطاء الامـام مـالك .
٦٤ ـ نصرة الحديث للشيخ حبيب الرحمن الاعظمى .
٦٥ ـ نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى .
٦٦ ـ الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله .

الـدوريات

١ ـ جـريدة الاهـرام .   ٢ ـ مجـلة حضارة الاسـلام .
٣ ـ مجـلة المنـار المصـرية .

تصـويبات العـدد

ـ ص ٣ سطر ٨ « ومصدر اشعاعها » .

ـ ص ٥ سطر ٣ « من المستغربين » .

ـ ص ٤٠ السطر الأول « بحث مضن » .

ـ ص ٤٨ سطر ٤ « لماذا يكون لوضع » .

ـ ص ٥٤ سطر ١٥ « هذه الدعوى » .

ـ ص ٥٤ سطر ١٦ « أذن فى ذلك » .

ـ ص ٦٢ سطر ١٦ « وبه ندين لله » .

ـ ص ١٠٢ سطر ١٨ « أساس الخطأ » .

ـ ص ١٢٩ سطر ١٠ « قول المؤلفين » .

صدر من هذه السلسلة

١ ـ تاملات فى سورة الفاتحة/للدكتور حسن باجودة٠

٢ ـ الجهاد فى الاسلام مراتبه ومطالبه / للاستاذ احمد جمال ٠

٣ ـ الرسول (ص) فى كتابات المستشرقين ٠٠/ للاستاذ نذير حمدان ٠

٤ ـ الاسلام الفاتح / للدكتور حسين مؤنس ٠

٥ ـ وسائل مقاومة الغزو الفكرى للعالم الاسلامى / للدكتور حسان محمد حسان ٠

٦ ـ السيرة النبوية فى القرآن الكريم / للدكتور عبد الصبور مرزوق ٠

٧ ـ التخطيط للدعوة الاسلامية / للدكتور على محمد جريشة ٠

٨ ـ صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الاسلامية / للدكتور احمد السيد دراج ٠

٩ ـ التوعية الشاملة فى الحج/للاستاذ عبدالله بوقس ٠

١٠ ـ الفقه الاسلامى افاقه وتطوره / للدكتور عباس حسنى محمد

١١ ـ لمحات نفسية فى القرآن الكريم / للدكتور عبد الحميد محمد الهاشمى